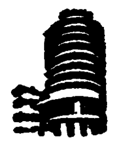
الدكتور :
عادل صادق

أستاذ الطب النفسى
بجامعة عين شمس



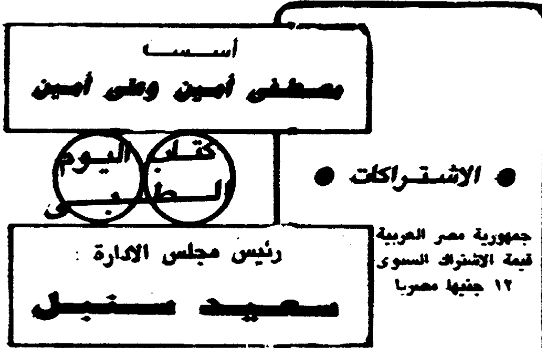
● العدد ١٠٥
● أكتوبر ١٩٩٠

مشكلات نفسية

المشرف على التحرير :
دكتور
رفعت كمال

● الجزء الأول





● الاشتــراكات ●

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى
١٢ جنيها مصريا

البريد الجوى
دول اتحاد البريد
العـربى والافريقى ١٥ دولارا امريكيا او ما يعادله
بـاقى دول العـالـم واوربـا والأمـريكتين واسيـا واستـراليـا ٢٠ دولارا امريكيا او ما يعادله
● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ (ا) ش الصحافة القاهرة
ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

المغرب ٢٠ درهم - لبنان ٥٠٠ ليرة - الأردن ٧٥٠ فلس - العراق ٤ دينار - الكويت ٧٠٠ فلس - السعودية ٧ ريال - السودان ٧٠٠ قرش سودانى - تونس ١٤٠٠ مليم - الجزائر ١٧٥٠ سنتيما - سوريا ٣٠ ليرة - الحبشة - ٦٠٠ سنت - البحرين ٨٥٠ فلس - سلطنة عمان ٧٠٠ بيسة - غزة ١ دولار - ج اليمنية ١٠ ريال - الصومال نيجيريا ٨٠ بنى - السنغال ٦٠ فرنك - الامارات ٨ درهم - قطر ٨ ريال - لندن ١,٢٥ جك - فرنسا ١٠ فرنك - المانيا ٥ مارك - ايطاليا ٢٠٠ ليرة - هولندا ٥ فلورين - سويسرا ٤ فرنك - اليونان ١٠٠ درخمة - النمسا ٤ شلن - الدانمارك ١٥ كرونة - السويد ١٥ كرونة - الهند ٣٥٠ سنتا - كندا امريكا ٣٠٠ سنت - البرازيل ٤٠٠ كريرو - نيويورك واشنطن ٣٥٠ سنتا - لوس انجلوس ٤٠٠ سنت - استراليا ٤٠٠ سنت .

الاشـراف الفنى
خالد فرحات



المقـــدمـــة

موضوعات هذا الكتاب غريبة .. وتناولها شائك وصعب .. وأبطال هذا الكتاب ليسوا من المرضى العقليين ، أى ليس بهم مس من الجن أو الجنون ، وربما أيضاً ليس بهم مرض نفسى ، ولكنهم أبطال متعبون حائرون تائهون شاردون فى هذه الدنيا الواسعة الضيقة لايعلم ما بهم غير خالقهم .. فأشواكهم غائرة للداخل ، وعوراتهم مستورة بقناع هش يجعلهم يبدون أسوياء وما هم بأسوياء ، يركضون خشية من الأعين النهمة الفاحصة الكاشفة النمامة ، ويتوارون من كل محاولة متطفلة للنفاذ إلى صدورهم ، ويختبئون من كل رادار يحوم لاختراق عقولهم ..

.. ومالهم أن يركضوا أو يتواروا أو يختبئوا .. وما بهم ليس بعورة ، وإنما اضطراب أو خلل أو مرض قد نحتار فى تسميته ، قد نكون عاجزين حالياً عن معرفة كل أسبابه الحقيقية ولكن بلا شك هناك أكثر من وسيلة للمساعدة ..

.. والطب النفسى يتقدم بقفزات واسعة .. فى كل لحظة اكتشاف جديد ، وهتك لأسرار المخ وكميائيته العجيبة يا سبحان الله .. حتى السلوك الاجرامى أصبح فى الامكان ربطه باضطراب ما فى جزء معين بالمخ

وكذلك بتضخم فى كروموزوم معين ..

.. وتوقعاتى أنه فى السنوات الخمس القادمة سنعرف الكثير والكثير إن شاء الله ، ستحل معضلة الفصام مثلما حلت معضلة الاكتئاب ومعضلة القلق ..

حقيقة أن العلاجات الحالية للفصام تمكنا من التحكم فى الأعراض الحادة ، ولكن تبقى لدينا مشكلة الأعراض السلبية كالانطواء والتبلد الوجدانى وفقدان الإرادة ..

●● إننا لانعرف إلا القليل عن خبايا الاثنتى عشرة بليون خلية والتى تكون المخ ، والتى يسبح بين ثناياها مواد كميائية كنا منذ عشر سنوات نعرف منها اربعا والآن نعرف ما لايقل عن مائتين ، وربما يكون العدد الحقيقى لهم الفين ..

والنفس هى هذه المواد الكميائية .. والتفكير والوجدان والادراك والسلوك والإرادة .. كلها نتائج هذه الحركة الكميائية داخل المخ ..

وحين نعرف الخريطة الكميائية بالكامل .. سوف نعرف معنى ومغزى كل سلوك .. كل خاطر .. كل فكرة .. كل انفعال ، وسنعرف كيف يضطرب سلوك إنسان .. كيف تسيطر عليه فكرة ضالة .. كيف يسمع أصواتاً لامصدر لها ..

●● سنعرف لماذا يفقد إنسان سيطرته على حركة عينيه فتتحركان ضد إرادته لتنظرا إلى . الأعضاء

التناسلية لشخص امامه .. ويتعذب صاحب هذه المشكلة ويؤكد انه إنسان سوى جنسيا ، وإنه لاينظر عن رغبة ولكن ضد إرادته ..

●● سنعرف لماذا تعلق فكرة بعينها أو ذكرى بعينها برأس إنسان ولا يستطيع أن ينساها او يتخلص منها بالرغم من مرور عشرات السنوات على حدوثها .. وأكثرها عذابا ذكرى اعتداء جنسى فى مرحلة الطفولة .. ربما كان عبثاً طفوليا عابرا لمرة واحدة ولم يترك أثرا ثم نسى الأمر .. ولكنه يتذكره فجأة وهو فى سن الثلاثين وربما يفكر فى الانتقام من ذلك الطفل أو ذلك الشاب الذى عبث به منذ عشرين سنة مضت ..

●● وأيضا قد يتذكر إنسان آخر - ويا للعجب وهو فى سن الثلاثين - أنه شاهد والديه وهما فى جماع جنسى حينما كان صبياً فى الرابعة .. كان قد نسى الأمر بعدها مباشرة لأنه لم يفهم ماذا كانا يفعلان .. ولكنه تذكر الآن الحدث فجأة وربطه بالأوجاع النفسية التى يعانى منها حاليا :

●● وقد نعرف بعض أو كل خبايا كمياء المخ عندما نعلم لماذا ترفض هذه الفتاة الجميلة الزواج .. لماذا يتعلق قلبها برجل حتى إذا تقدم لخطبتها تراجعت . وإذا حدث فى غفلة منها أن خطبت فعلا فإنها تختلق الأعذار لتخلع نفسها من هذه الورطة .. وإذا حدث فى

غفلة منها ان تزوجت فعلا فإنها تمتنع عن ممارسة الجنس معه وتضغط عليه بكل الوسائل حتى يطلقها .

●● وقد نعرف أيضا لماذا تحب امراة امراة اخرى .. ليس من الضرورى أن يكون هناك جنس بينهما ولكنه حب عذرى طاهر يملك الأفئدة ويسيطر على الوجدان ويذهل العقول .

●● ومشكلة المشاكل البغاء .. بيع الجسد للحظات مقابل نقود ..

.. اى جريمة فى حق الطبيعة الإنسانية . أى تشويه لصورة الإنسان الجميلة .. ياالله .. أيعرف الإنسان البغاء ولايعرفه الحيوان : هل هى مريضة .. وأى مرض !!

وأى أعراض أخرى غير بيع الجسد ..

●● وتلك الإنسانة التى تستعذب الضرب والإهانة والتحقير والمذلة وتستزيد .. وذلك الذى يعشق إذلال البشر وتعذيبهم وتحقيرهم وإهانتهم ..

وذلك الذى يملأ الدنيا شراً وبغياً وعدواناً ..

اى خلل اصاب كمياء المخ لديهم .. وأى علاج لتلك النماذج الإنسانية الغريبة والشاذة .

●● وذلك الذى لايستطيع مقاومة رغبته فى اشعال الحرائق .. تسيطر عليه رغبة قوية لايستطيع مقاومتها ليحرق بيتا او مصنعا أو حقلا ، ويسعد وينتشى

ويبتهج ثم يهدا وهو يشاهد النار تتوهج وتاتى على كل شيء ..

اى عقل او اى مخ او اى كمياء !؟ لماذا يحدث هذا !! اهو المرض أم الشذوذ ام ماذا !؟

●● ونتطرق للفنان .. ذلك المبدع الذى يخلق تشكيلات جديدة لم نكن نعرفها ولم نكن نراها فتثير لدينا النشوة والسعادة والمتعة .. لاحظ العلماء اضطراب الفنان .. إنه مختلف .. متطرف .. شاذ .. غير سوى .. أم هو مجنون .. ؟

اى مخ يحمله داخل جمجمته ؟ . وأى كمياء تختلف عن كمياء بقية البشر .. ؟

●● وما اصعب ان يبدو إنسان سويا تماماً ولكنه يسلك سلوكاً غريباً يبعث على الجنون لدى الآخرين .. إنه يقلب حياتهم جحيما وعذاباً .. هل هناك جنون خفى؟ من هم هؤلاء الناس الذين يعيشون بيننا ويمارسون حياتهم بشكل طبيعى؟ ولكن فى لحظة ما ينقلبون ويتغيرون ويشذون ويأتون بأفعال يحار فيها العقل والمنطق؟ وإذا أمعنا النظر فى قلب حياتهم سنجد انهم غرباء .. غرباء !!

متى سيتوصل العلم إلى معرفة حقيقة هؤلاء الناس وكيفية علاجهم !! انهم حقاً يجعلون حياة الآخرين صعبة .!! ..

●● ثم نأتى إلى قلب الكتاب وإن أتى فى ذيله .. إنها لمسة حنان لمن أراد الله أن يمتحنهم ويبتليهم بمرض القلق النفسى المزمن فاحتاجوا لسنوات طويلة للمطمئنات الصغرى .. فأقول لهم لا إدمان على هذه العقاقير .. ولا أضرار على المدى القريب أو المدى البعيد .. وأى كلام غير هذا فهو كلام الحمقى وصوت الجهل ..

تلك كانت محتويات الكتاب .. لعله يفيد .. لعله يلقى الضوء على حالات غريبة فنعرف أنهم مرضى أو مضطربون وأن الطب النفسى يحاول أن يساعدهم وأن الأمر خارج عن إرادتهم ..

انهم فى حاجة ماسة إلى الوقوف بجانبهم فى محنتهم فلا تقسوا عليهم وكونوا عباد الله إخوانا يرحم بعضكم بعضا ويستر بعضكم بعضا ولا يغتاب بعضكم بعضا ولا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ..

دكتور عادل صادق

مؤلف الكتاب



● الاستاذ الدكتور عادل صادق أحد علماء مصر البارزين فى الطب النفسى ، وهو استاذ لهذا الفرع من الطب فى كلية الطب جامعة عين شمس .. المؤلف مارس التدريس وعلاج المرضى على مدار ربع قرن ومازال يواصل رسالته التعليمية والعلاجية فى مصر والدول العربية ..

وهو أيضا من الأطباء المعروفين على المستوى العالمى ، فهو زميل الكلية الملكية للأطباء النفسيين بانجلترا وزميل الجمعية الأمريكية للطب النفسى .. وهو معروف بأبحاثه المنشورة فى الدوريات العلمية العالمية والعربية والمصرية .. وله العديد من المؤلفات وخاصة باللغة العربية والتى استطاع بها ان يبسط الطب النفسى ويعرف

به الناس بغرض مساعدتهم فى التشخيص المبكر والوقاية من هذه الأمراض .. وهذا يتمشى مع رسالة وأهداف كتاب اليوم الطب لجعل الثقافة الطبية فى متناول الجميع بأسلوب علمى مبسط ، وكلما ارتفع نصيب المواطن من الثقافة الطية كلما أمكن السيطرة على العديد من الأمراض عن طريق الوقاية والاكتشاف المبكر للأمراض حيث يجدى العلاج وبدون مضاعفات ..

ولقد أسهم الاستاذ الدكتور عادل صادق فى تدعيم رسالة كتاب اليوم الطبى بإصدار عدة كتب خلال السنوات الماضية .. واليوم نقدم له هذا الكتاب الجديد الذى يحوى العديد والغريب من الحالات ويوضح لنا أسبابها وطرق الوقاية منها وأحدث أساليب العلاج ..

والدكتور عادل صادق أشرف على عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه وناقش العديد من هذه الرسائل الجامعية وله آلاف التلاميذ الذين ينتشرون الآن فى مصر وفى البلاد العربية وفى أوروبا وأمريكا ..

.. إن اسهاماته المصرية والعربية والعالمية تجعل اسمه يرتبط بالتقدم الذى حدث فى الطب النفسى خلال السنوات الأخيرة .

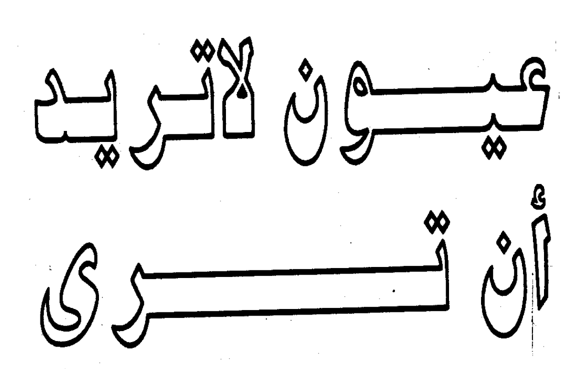
.. وجدير بالذكر أن الكتاب الذى نقدمه له اليوم « مشكلات نفسية » هو كتابه الثالث عشر ..

د . رفعت كمال



الفصل الأول

النظرة الحائرة :



.. شقى الإنسان بعقله .. وكثيره هى متاعبه النفسية .. والمتاعب قد تؤدى إلى المعاناة .. والمعاناة الم .. والألم معناه الحيرة والتردد والشك والضياع والضيق والتمزق والخوف .. واستمرار الألم يقود إلى اليأس .. اليأس من الشفاء ثم اليأس من كل الحياة ..

●● ما هى مشكلة هذا الإنسان الشقى بعقله المعذب بنفسه ؟

●● إنه لايستطيع أن يمنع نفسه من النظر إلى الأعضاء التناسلية للآخرين ..

●● أو هى لاتستطيع أن تمنع نفسها من النظر إلى الأعضاء التناسلية للآخرين وخاصة الرجال ..

● وما المشكلة فى ذلك .. ؟

— إنها لكارثة ..

● وما حجم الكارثة .. ؟

— إنها كالجحيم ..

إنها أكبر المشكلات التى تسبب عذابا لصاحبها وتكويه بنار القلق والعجز وتحقير الذات والخوف من الناس وتأنيب الضمير ..

● يقول ذلك الذى ينظر إلى الأعضاء التناسلية

للرجال الآخرين : أقسم أننى أفعل ذلك ضد إرادتى .. لقد فقدت السيطرة تماما على حركة عينى .. لقد انفصلتا عن إرادتى ولكنها مشدودتان إلى عقلى تنقلان له صوراً كريهة لا أرغب فى رؤيتها ..

أقسم أننى لست شاذاً ولست منحرفاً ولا أنظر لاعضاء الرجال الآخرين عن رغبة .. إن الأمر ليس له أى علاقة على الإطلاق - بالغريزة الجنسية .. لاشىء يتحرك داخلى حين التطلع الى أعضاء الآخرين إلا القرف والغم والضيق والحنق على نفسى والرغبة فى الهروب من المكان والزمان أى التلاشى ..

.. من يصدق أننى لست شاذا !! من يصدق أننى لا أفعل ذلك عن رغبة منحرفة !!

.. من يصدق أن عينى تتحركان فقط ناحية المكان غير مبالية بما يحويه المكان من الأعضاء!!

.. من يصدق أن عينى تتحركان بلا أوامر منى وأننى كلما حاولت أن أبعدهما إلى مكان آخر تنفلتان منى وتعاودان النظر إلى أعضاء أى رجل فى مواجهتى !!

.. من يصدق أننى أشعر وكأن عينى تقعان تحت سيطرة قوى شيطانية ملعونة تعبث بى لتجلب لى العار والفضحية !!

●● وماذا يقول هؤلاء الرجال عنى وأنا أتطلع إلى أعضائهم التناسلية ؟

●● بعضهم سيتهمنى بالشذوذ .. بعضهم سيسخر منى .. بعضهم سينفر منى .. وكلهم سيفضحوننى ..

● يقول ذلك الذى لايستطيع أن يقاوم حركة عينيه وهما تتجهان صوب الأعضاء التناسلية للنساء اللاتى يصادفهن : لست زير نساء .. ولا تتملكنى أى رغبة . أنا إنسان مستقيم أصلى أخاف الله وأغض البصر وأحترم حرمة الآخرين .. أهو الجنون أم الشيطان الذى يفقدنى إيمانى وقيمى ويعرضنى لسوء مظنة الناس وعذاب الآخرة ويحرك عينى إلى ما لا أشتهى ؟

ماذا ستقول زوجة صديقى عنى ؟.. بما ستتهمنى جارتى التى ألقاها كل يوم من عشر سنوات ولم أتطلع يوماً حتى إلى وجهها ؟

كيف ستتعامل معى زميلتى فى العمل وبيننا احترام أكدته سنوات المزاملة .. ؟

●● سيقلن انه جنون مفاجىء أو إنحراف مباغت .. سيحترن فى أمرى ثم يفزعن من سلوكى ثم يشهرن بى ويهربن من وجهى أو من عينى اللتين أصبحتا تشبهان عينى ذئب وما أنا بذئب بل أنا إنسان أنصهر خجلا وعاراً وذلاً واحتقاراً .. وأنا على وشك الانهيار ..

●● والمأساة أفدح حين تصاب المرأة بهذه الحالة ..

●● هذه المرأة تُذبح فى كل مرة تهزمها عيناها لتتسمرا على الأعضاء التناسلية لرجل فى مواجهتها .. وتشك فى البداية فى نفسها .. وتتساءل : هل أفعل ذلك عن رغبة ؟ هل ألم بى إنحراف مفاجىء ؟ مستحيل .. مستحيل .. أنا طاهرة عفيفة لاتتحرك رغبتى إلا فى إطار حدده الله لى ، تاريخى أبيض نظيف ، لم أتطلع إلى رجل قبل زوجى أو بعده ..

ماذا سيقول ذلك الرجل عنى.. ؟ سيقول منحرفة مريضة شاذة .. وقد يطمع آخر فىّ .. ماذا أفعل وأين أهرب ؟

كيف أدافع عن نفسي ومن سيصدقني ؟ حتما سيفتضح أمرى وتتناولنى الألسن ويشيع خبرى بين الرجال والنساء ..

سيقولون : هذه امرأة نادرة فى شذوذها .. إنها تنظر إلى أى رجل .. وفى مكان محدد .. أى لا تريد من الرجل إلا عورته .. إن الموت أرحم ..

●● المرأة التى تعانى من هذه المشكلة قد تتطلع أيضا إلى حيث الأعضاء التناسلية للنساء ، وفى هذه الحالة يظُن بها الشذوذ .. وقد تتطلع للأعضاء التناسلية للأطفال وهذا غريب !! إلا أن ذلك يؤكد الطبيعة غير الجنسية لهذه الحالة ..

●● إنها حالة أشبه بالوسواس القهرى .. وقد تكون من أحد أعراضه ، أى موجودة مع بقية أعراض الوسواس .. وقد تأتى كعرض أوحد يعانى منه الإنسان ـ بدون أى أعراض مرضية أخرى ـ وهنا تكون الحيرة أكبر إذ لايتصور الإنسان فى البداية أن به مرضاً ..

●● ومن شدة الحيرة والخجل يخفى المريض شكواه حتى عن أقرب المقربين له .. ماذا يقول !! ومن سيصدقه !! من سيصدق أن هذا أمر بعيد كل

البعد عن المشاعر الجنسية ، أى أن العينين لاتتحركان بدافع البحث عن المتعة والارضاء الغريزى ..

الناس لن تصدق لأن كل الناس تعرف أن غير الاسوياء والمنحرفين والشواذ يتعـرفون على بعضهم البعض من خلال تبادل نظرات معينة ، وأن النظرة قادرة على التعبير والايحاء بأشياء معينة وخاصة فيما يتعلق بالمشاعر والرغبات .. بل إن العين هى نافذة الوجدان والغرائز ترسل وتتلقى الإشارات وتحرك الرغبات وتصهر الأحاسيس وتشعل الغرائز وما لايستطيع الإنسان أن يقوله بلسانه يقوله بعينيه ..

إنها لغة عالمية تلقائية غير مكتسبة يعرفها كل الناس ويتبادلون الحوار بها ولكن تختلف درجة مهارتهم حسب اهتماماتهم وحسب نوعية الرسائل التى يريدون أن ينقلوها عن طريق عيونهم وأيضا درجة الذكاء تؤثر على مستوى فصاحة لغة العيون .

وصدق المشاعر وقوتها لها تأثيرها البين على تلك اللغة غير المنطوقة ، وهى لغة قادرة على نقل أى رسالة : حب .. كراهية .. حسد .. حقد .. غيره ..

عدوان .. سلام .. وأيضا الرغبات المحمومة .

●● وبلا شك أيضا الرغبات الشاذة ومن السهل جدا ان يتعرف الشواذ على بعضهم البعض فى الطرقات عن طريق لغة العيون .. والمرأة اللعوب تعرفها من عينيها .. والرجل الوقح تعرفه من عينيه .. والزوجة تنادى زوجها بعينيها وكذلك يفعل الزوج أيضا .. والعين تلمع وتنطفىء .. تتحرك وتتحجر .. ترتعش وتصمد .. وتكشف عن الحالة النفسية التى عليها الإنسان فى نفس اللحظة .. ولذا فالعين نافذة يتطلع منها الطبيب على أمراض النفس : قلق .. اكتئاب .. مخاوف .. وسواس .. تبلد ..

وسحرها فى صدق تعبيرها وليس فى إتساعها أو طول رموشها .. وهى أكثر ما تكون سحراً إذا كان الوجدان يموجب بالحب ..

والعين تنطفىء إذا كان الإنسان قد فقد رغبته فى الحياة .. وإذا كان مقبلا على الموت .. وشتان بين عينين .. عين الحب وعين الموت ..

والعين التى تقطر عذابا هى تلك العين التى

تتطلع إلى الأعضاء التناسلية للآخرين .. إنها تعكس الخجل والألم والعجز واللاإرادة .. إنها عين المرض .. إن المريض يعتقد أن الناس تظن به السوء لنظراته ، ولكن فى حقيقة الأمر أن معظم الناس يكتشفون حيرة هذه النظرات والتى لا يرون فيها أى رغبة غير سوية .. وهى قريبة من نظره أى مريض يعانى من الوسواس القهرى ..

●● الوسواس حيرة وقلق وتوتر وتشتت

●● الوسواس معناه فقدان الإرادة والعجز عن السيطرة .. والمريض يدرك عجزه وفقده لارادته .. كالسائق الذى يفاجىء بانعدام قدرته على التحكم فى سيارته ..

الأفكار الغريبة والشاذة والتافهة تقتحم رأس المريض ويعجز عن طردها والتخلص منها .. تسيطر عليه وتقهره وتفسد استمتاعه بأوقاته وترهق عقله ويقلق لغرابتها ويكتئب لعجزه .. وقد تكون أفكاراً تدفعه بالحاح للقيام بأفعال معينة . أفعال بسيطة لاضرر منها وأفعال خطيرة .. يشعر المريض بالالحاح الشديد لهذه القوة الدافعة للتنفيذ والقيام بهذه الأفعال .. كأن يصرخ فى صلاة أو يضرب

شخصا أمامه أو يلقى بنفسه أمام سيارة مسرعة أو يؤذى ابنه .. والمريض لايخضع للأشياء الخطيرة ، إلا أنه يجزع لإحساسه بأنه على وشك أن يفقد سيطرته فى مقاومة التنفيذ .. ولكنه أبداً لم يحدث فى تاريخ هذا المرض أن قام المريض بفعل خطير يؤذيه أو يؤذى غيره .. ولكنه قد يخضع للقيام ببعض الأفعال التافهة التى لا ضرر منها ولكن لا معنى لها ..

●● وحركة العينين فى إتجاه معين (للأعضاء التناسلية للآخرين) هى من القوى الدافعة التى لا يملك المريض مقاومتها .. فينظر رغم إرادته .. فيقلق ويكتئب مثل أى مريض مصاب بأعراض الوسواس القهرى .. ولكن يزيد على ذلك احتقاره لنفسه وإشفاقه وخوفه من الناس ..

● لماذا أكتب عن هذه المشكلة .. ؟

— لأنى أعرف أن هناك كثيرين يعانون منها ولا يعرفون أنها مرض .. حتى وإن كانوا قليلين إلا أن عذابهم كبير .. انهم حين يعرفون إن بهم مرضا فإن احتقارهم لأنفسهم سينعدم .. وأود أن أطمئنهم

أن الناس لا تلحظ نظراتهم بالقدر الذى يتصورونه ولا تفهم حتى معنى هذه النظرات .. فالمعنى موجود فى عقل المريض فقط .. والحقيقة انه لامعنى .. لهذه النظرات .. وحين ينظر انسان إلى إنسان آخر ـ فى الأحوال الطبيعية ـ فإنه لا يفكر إلى أين تتجه عيناه .. وفعلا تتحرك عيناه إلى أى مكان وكل مكان وبدون توجيه وبطريقة تلقائية طبيعية .

.. ومريضنا عادة لاينظر بالحاح ولا يثبت عينيه على الأعضاء التناسلية ، ولكن عيناه تعبران بها عبورا سريعا ولكن لأن الفكرة والقوة الدافعة موجدتان فى عقله فإنه يشعر وكأن عينيه لاتريدان الحرك بعيدا عن اتجاه الأعضاء التناسلية وأن الناس يلحظون ذلك .. أى أن حجم الوساوس أكبر من حجم النظرات ذاتها ..

●● هذه الحقائق يجب أن يعرفها كل من يعانى من هذه المشكلة وبذلك تسرى الطمأنينة نسبياً فى نفسه إلى أن يخضع للعلاج الطبى المنتظم ..

● ما العلاج . . . ؟

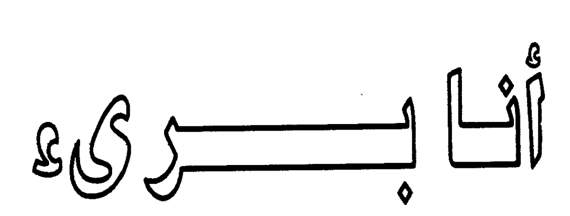
— مثلما يعالج أى مريض بالوسواس القهرى العقاقير تلعب دورا حاسما فى العلاج : عقاقير تضاد الوساوس والضيق والقلق .. ومن قبل ذلك ومن بعده بعث الطمأنينة والثقة فى نفسة ..

● ● ●



الفصل الثانى

الاعتداء المبكر :





●● وتظل الفكرة تلح ، تحتل بؤرة التركيز والاهتمام ، تحتل مركز الوعى وتستبعد ما عداها من افكار واهتمامات وتخضب كل العقل بالغضب والحنق والغيظ والندم ، وتغلى النفس بالرغبة فى الانتقام ربما إلى حد القتل !!

●● قتل من . . ؟

●● قتل من اعتدى عليه جنسيا وهو طفل أو مراهق صغير !!

●● هذه هى الفكرة .. وقد يكون لها جانب من الصحة .. اى أن الاعتداء أو الممارسة الجنسية تكون قد حدثت فى الصغر .. وربما كان ذلك بموافقته أو ربما كان عبث أطفال متقاربين فى السن ، وهذا غالبا يحدث لمرة واحدة أو مرات متفرقة قليلة دون تماد ودون استمرارية ، بل دون علاقة كاملة بل مجرد عبث سطحى ..

ولكن الفكرة تقفز فجأة إلى الوعى بعد رقاد طويل ربما إلى حد الموت من مقبرة الذاكرة .. فجأة يتذكر ـ وهذا هو الغريب أو هذا هو المرض ـ يتذكر وهو فى سن الثلاثين وربما الأربعين .. يتذكر أنه عندما كان صبيا صغيرا فى العاشرة أو أصغر قليلا أو أكبر

قليلا جاء جاره أو قريبه أو زميله الذى يكبره ، بعدة سنوات أو ربما يماثله فى السن ومارس معه الجنس وأكرهه على ذلك ، وهو لا يتذكر إن كان ذلك برضاه .. المهم أن الاعتداء وقع .. وبمرور الأعوام نسى الأمر تماما .. وأحب وتزوج وأنجب ومارس حياته بشكل طبيعى .. ولكن فجأة ومن قلب ظلام مطبق إنشق كهف الذاكرة الصخرى وانبعثت ومضة من نار اشعلت كل كيانه ..

وتظل الأفكار تتوارد وتتكاثر كمستعمرة نمل تعيش بين ثنايا عقله :

— لقد اعتدى على رجولتك

— لقد أجهز على شخصيتك

— لقد وصمك بالعار .

— لقد تسبب فى ضياع إحساسك بكرامتك واحترامك لذاتك ..

— كيف تواجه الناس برجولة مذبوحة بل كيف تواجه نفسك ؟

— ماذا ستقول عنك زوجتك وأولادك وكل الناس إذا عُرف الأمر ؟

— أى أثر تشريحى أحدثه هذا الملعون فى جسدك ؟

وتظل الأفكار تتكاثر ويتوحش النمل وينهش فى عقله وتضطرب حياته ويصيبه القلق والغم ، وقد يتوقف عن فعل أى شىء إلا التفكير ..

وتعتمل نفسه بغضب حارق وثورة عارمة ، وقد تسيطر عليه فكرة الانتقام من هذا الشخص الملعون ..

وتخطر عليه فكرة القتل .. ويظل يقتله فى عقله عشرات المرات ويمثل به ويتمنى لو أنه قدر على تحقيق ذلك فى الواقع ..

●● وقد يشعر بالذنب إذ يتذكر أن ذلك كان بموافقته ورضاه ، وربما يتذكر ما هو أوجع وهو أنه هو الذى استدرجه واستماله وشجعه مرة أو مرات .. ويزداد ألم الوخز إلى حد الذبح حين تكشف له ذاكراته عن شبه متعة صاحبت هذه التجربة ودفعته إلى تكرارها مرة أخرى أو مرتين .. وتداهمه أفكار كالوحوش :

— ماذا لو عاودنى الحنين الآن إلى أن أعيد التجربة ؟

— هل أنا شاذ فعلا .. ؟

— هل مازال هو يتذكر ما فعله بى . ؟ هل أخبر أحداً آخر ؟

وتمعن ذاكرته فى تعذيبه فتخرج من جعبتها نظرات وكلمات ومواقف من هذا الشخص الملعون الذى فعل به وكذلك من إناس آخرين قد تحمل معنى أنهم يعرفون .. فيشعر بالخزى والضآلة وينهال على نفسه تحقيراً وتأنيبا .. ويسخر بمرارة ويهزأ بنفسه إذ هو الآن من الأعلام ومن رعاة الفضيلة فى المجتمع .. أى غش !! أى نفاق !! أى مهزلة !! آه لو عرف الناس حقيقة أمرى !!

●● أهو وسواس أم فكرة حقيقية .؟ إن الوسواس فكرة لا أساس لها من الصحة .. أى أنه فعلا لم يحدث أى اعتداء عليه ولكن تسيطر عليه فكرة خاطئة أن ثمة اعتداء قد حدث .. وهو يعلم تماما أن هذا الاعتداء لم يحدث ..

وفى حالة أخرى تكون العلاقة الجنسية الشاذة قد مرت به فعلا ثم نساها ولكنها تعاود الظهور بالحاح مصحوبة بتلك المشاعر الغاضبة مقرونة بالرغبة فى الانتقام ..

وفى حالة ثالثة لم يحدث فعلا أى اعتداء جنسى فى أى وقت من الأوقات ولكن تظهر الفكرة فجأة أنه حينما كان طفلا اعتدى عليه قريب له وهو نائم، وأنه حين استيقظ شعر بآلام فى منطقة الشرج وربما لم يتصور وقتها أن اعتداءً قد حدث ، ولكنه يستطيع الآن أن يفسر الأحداث ويجزم بأنه فى تلك الليلة حدث اعتداء جنسى عليه من قريبه الذى تصادفت زيارته لهم فى تلك الليلة المشؤمة ..

●● إذن نحن أمام ثلاث حالات مختلفة :

١ ـ مريض بالوسواس تسيطر عليه فكرة أن اعتداء جنسى قد وقع عليه وهو طفل بالرغم من أنه يعرف تماما ان ذلك لم يحدث ..

٢ ـ مريض مر فعلا بتلك التجربة الجنسية ونسيها تماما ولكنها عاودت الظهور بالحاح .. وتسيطر على تفكيره وتشل حياته ويصاحبها رغبة فى الانتقام وخشية أن ينفضح أمره ورعب من ان تعاوده الرغبة .

وإذا قلنا تجاوزا أن هذه الفكرة أصبحت كالوسواس ، فذلك بمعنى أنها ملحة ومستمرة وتحتل

بؤرة الوعى .. ولكنها تفتقد إلى مقومات الوسواس الأخرى والتى فيها يقاوم المريض الفكرة ويحاول أن يطردها من ذهنه .. العكس يحدث فى هذه الحالة حيث يستسلم المريض للفكرة ويتجاوب معها انفعاليا وسلوكيا ويتضح ذلك من رغبته فى الانتقام ..

٣ ـ أما فى الحالة الثالثة فالفكرة المسيطرة هى اعتقاد خاطىء إذ لم يحدث فعلا أى اعتداء .. وذلك تسمى هذه النوعيـة من الأفكار « ضـلالات » أو « هذاءات » وهذا يشير بوضوح إلى وجود اضطراب عقلى وليس نفسيا ، فقد يتصور المريض ان الاعتداء الجنسى الكامل قد حدث وهو نائم ـ وهذا أمر غير معقول طبعا ـ أو أن الذى اعتدى عليه قام بتنويمه مغناطيسيا ، أو أنه استعان بمادة مخدرة ..

وقد تكون هذه هى الفكرة الخاطئة الوحيدة أو قد يصاحبها أفكار خاطئة أخرى .. كأن يعتقد أن الناس تعرف بأمر ما حدث .. وانه يقرأ ذلك فى عيونهم أو يلحظه من سلوكهم نحوه أو حتى يسمعهم يتكلمون عنه ويتغامزون ..

وأيضا تكون هناك رغبة فى الانتقام .. وهذا هو المريض الذى يقدم فعلا على الانتقام إذا لم يُعالج .. وقد يظل هذا المريض يشكو من أعراض حسية فى منطقة الشرج ويربطها بالاعتداء المبكر عليه ، أو قد يعتقد أنه فعلا قد تحول إلى إنسان شاذ وأنه يشعر بالرغبة الفعلية لتكرار هذا الفعل وبذلك تكون حياته قد دمرت وهذا يدعم رغبته فى الانتقام ..

فرويد ربط بين « الشرج » وبعض الاضطرابات النفسية والعقلية حيث انه تصور أن النمو النفسى للإنسان يرتبط بنموه وتطوره الجنسى وانتقاله من مرحلة جنسية تتحقق فيها اللذة من مكان معين إلى مرحلة جنسية أخرى تنتقل فيها اللذة إلى مكان آخر ..

ففى البداية تكون المرحلة الضمية حيث اللذة الجنسية تكون عن طريق الفم فى فترة الرضاعة ثم تنتقل إلى الشرج « المرحلة الشرجية » حيث اللذة الجنسية تأتى من الاحتفاظ بالبراز أو إخراجه ..

ومرض الوسواس القهرى ـ فى تصوره ـ تنشأ جذوره فى المرحلة الشرجية حين تعطى الأم اهتماما بالغاً لعملية التحكم فى التبرز عند الطفل ..

وربط فرويد أيضا بين الجنسية المثلية والشعور بالاضطهاد ، وأن البارانويا ما هى إلا نتيجة لرغبة لاشعورية مكبوتة لنفس الجنس .. وكذلك الغيرة المرضية والتى يتهم فيها الزوج زوجته بأنها على علاقة جنسية برجل آخر .. هذا الرجل الآخر يتمناه الزوج لنفسه ولكنه يكبت هذه الرغبة فى اللاشعور ويسقطها اتهاما لزوجته .. ووضع فرويد المعادلة بطريقة « تبدو مضحكة » إذ أن هذا الزوج الذى يعانى من الغيرة المرضية تبدأ الحالة معه بأن يقول :

١ - أنا أحب هذا الرجل وأرغبه جنسيا .. ولكن هذا أمر غير مقبول ، ولذا سرعان ما يكبت هذه الرغبة فى اللاشعور ويخرج بدلا منها :

٢ - أنا أكره هذا الرجل ..

.. ولكن لابد أن يجد مبررا لهذه الكراهية فيقول بدلا منها :

٣ - زوجتى تحب هذاالرجل ..

●● هكذا يؤمن المشتغلون بالتحليل النفسى وخاصة الذين يتبعون المنهج الفرويدى ..

●● إحصائيات « كنزى » من الولايات المتحدة الأمريكية تقول أن ٧٠ ٪ من الرجال تعرضوا فى طفولتهم إلى مثل هذا العبث الجنسى الذى لايستمر طويلا والذى سرعان ما يُنسى ويحل محله الميل الطبيعى للجنس الآخر ..

●● إلا أن بعض الشباب والرجال يكون لديهم قدرة كبيرة من الحساسية فيما يتعلق بموضوع الجنسية المثلية ، حتى بدون أن يمروا بهذه التجربة فى طفولتهم .. ويثوروا أو يرتعبوا إلى حد الانهيار إذا تعرضوا لموقف فيه شبه التلميح أو الإشارة لهذا الموضوع ..

مثل هذا الإنسان لا يقبل المزاح فى هذه الموضوعات ويتحاشى الحديث عنها وينفعل بغضب إذا التصق به أحد بالصدفة وبدون قصد ولثانية عابرة بسبب أزدحام أو ضيق مكان ..

وهذه الحالة تسمى فى كتب الطب النفسى « الرعب من الجنسية المثلية » وهى تشير على حد قول المحللين النفسيين إلى رغبة كامنة فى الجنسية المثلية ، وهذا هو سر حساسيته تجاه هذا الموضوع ..

وتلك حالة فعلية يراها من يمارسون الطب النفسي .. أى تلك الحساسية الزائدة لموضوع الجنسية المثلية بالرغم من عدم وجود أى تجربة سابقة ..

●● وهناك إنسان آخر يشكو من نظرات الناس التى تحمل معنى جنسيا وخاصة من الرجال .. ويشكو من مضايقات يتعرض لها أو تلميحات أو دعوات غير مباشرة للممارسة الشاذة (وهذا بالطبع غير حقيقى وإنما أفكار مرضية خاطئة أى ضلالات)

●● وهناك إنسان آخر يشكو من أن ملامحه وجسده أقرب إلى الشكل الأنثوى ، وهذا يشجع الرجال من الشواذ إلى التطلع إليه (وهذا أيضا اعتقاد خاطىء إذ أن شكله الفعلى ليس به أى ملامح أنثوية بل العكس ربما تكون مظاهر الرجولة مؤكدة بشدة من الناحية الشكلية والفعلية) ..

وهذا الاعتقاد الخاطىء قد يكون راسخا يرفض المريض ان يتزحزح عنه ، وفى حالات أخرى يمكن ان نجعله يتراجع ولو مؤقتا عن اعتقاده ..

إذا كان الاعتقاد راسخا .. فهو مرض عقلى ، وإذا

تنازل عنه فهو يعانى من مخاوف اضطراب الشكل .. وهذا المريض قد يلجأ إلى جراح التجميل وقد يتعاطى الهورمونات الذكرية لتقويم ملامحه الأنثوية ..

●● إن موضوع الجنسية المثلية من الموضوعات الشائكة فى الطب النفسى .. وفى التقسيمات الحديثة للأمراض حُذفت الجنسية المثلية من القائمة أى لم تصبح مرضا وإنما نمطا سلوكياً طبيعياً يخلو من أى انحراف أو شذوذ .. وهذا يعتبر منتهى التطرف فى الفكر الغربى وهو يجافى الحقيقة إذ أن بعض الشواذ يعانون من شذوذهم ويرفضونه ويتلمسون العلاج ويبحثون عنه مثل أى مريض ..

حقيقة أن هذا السلوك الشاذ يحقق لهم متعة جسدية ولكنه يجلب لهم شقاء نفسياً .. ولكن هناك البعض الآخر المتكيفون الراضون المستمتعون المتوافقون مع شذوذهم .. أما البعض الثالث فهم الذين يعانون الوساوس والمعتقدات الخاطئة والمخاوف المتعلقة بالجنسية المثلية بالرغم من

أنهم غير مصابين بالشذوذ ولكن المعاناة تكون على مستوى الأفكار فقط ..

●● وسواء اقتنعنا بآراء فرويد أو لم نقتنع فإن واجبنا ـ كأطباء نفسيين ـ ان نخلص المريض من أفكاره سواء إذا كانت وسواساً أو معتقدات أو مخاوف .. سواء إذا كان لها جانب من الحقيقة التاريخية أو ليس لها أى أساس .. إن هذا المريض شقى بأفكاره لأنها تهدد إحساسه بذاته كرجل كطبيعى .. تجرح كرامته .. تذل كبرياءه ..

●● والعلاج يختلف حسب التشخيص الأولى .. هل هو مريض بالوسواس القهرى أم هى ضلالات تخبىء وراءها مرضا عقليا ، أم هو يعانى من مخاوف خلل الشكل .. .

●● ولكل حالة علاج .. العقاقير والعلاج النفسى معا .. الاكتفاء بأحدهما لا يكفى .. الأفكار المرضية ما هى إلا خلل كميائى من الممكن إصلاحه بالعقاقير .. والعلاج النفسى ضرورى للفهم وإعادة التكيف لإعادة الطمأنينة وبعث الثقة بالنفس ..

● ● ●

الفصل الثالث

فتاه ترفض الزواج :

أحب هذا الرجل .. لا أريد أن أتزوجه !

●● أحداث تمر بالإنسان فى طفولته .. فى حينها لايفهم لها معنى ، تمضى كومض برق لايعقبها إلا ظلام غياب المعنى ، أو كفرقعة رعدية تسبب خوفا مبهما لايستمر أكثر مما استمرت الفرقعة ذاتها .. ثوان معدودات .. كل شىء ينسى بعد ذلك وتمضى الأيام بأحداث صغار وكبار تطبع الشخصية وتحدد السلوك وتدمغ أسلوب الحياة وطريقة التفكير واستجابة الوجدان ..

.. ثم فجأة يبرز الى السطح ذلك الحدث الغريب القديم الذى كان حينها بلا معنى وكأنه لم يمت ولم تفقده الذاكرة ، بل كان راقدا يتحين الفرص للبروز والظهور وإحداث أخطر التأثيرات ربما بعد سنوات عديدة من حدوثه ..

.. إنه حدث مشاهدة الأم والأب معا فى الفراش أثناء الجماع ..

.. إنه حدث يزلزل الطفل وينتابه الرعب ويجهش بالبكاء بالرغم من أنه ـ وبكل تأكيد ـ ، لم يكن يفهم ماذا كان يحدث أمامه .. قد يكون عمر الطفل وقتذاك ثلاث سنوات أو خمسا أو حتى عشر سنوات ولكنه

بالقطع لم يكن يعرف أى شىء عن الجنس .. كل الذى رآه هو ذلك الالتصاق الغريب بين أمه وأبيه وهما متجردان من ملابسهما ..

●● الغريب أنه قد يجرى ويختفى أو قد يشعر بالاثم الشديد والخجل القاتل أو يعبر به حزن لمدة ساعات أو أيام ، أو قد يتأثر نومه ويصاب بما يشبه الكوابيس ، أو يفقد شهيته للطعام أو تضطرب دراسته وقدرته على التركيز .. ولكن ذلك لا يحدث إلا لمدة وجيزة فقط وينتهى الأمر ، أو يبدو وكأن الأمر انتهى تماما ..

●● ولكن الحقيقة ان لاشىء ينتهى ، فالحدث ينزلق إلى قاع الذاكرة ويتم كبته فى العقل الباطن وينسى الطفل كل شىء عنه ولايستطيع استدعاءه حتى وإن حاول عن عمد ..

●● ولكنه قد يعبر بذاكرته ملامح مبهمة مطموسة مما شاهد ، وذلك حينما يتعرف على الجنس لأول مرة سواء كمعلومات أو من خلال تجربة فعلية .. يشعر كأن طيفا باهتاً يمر بصمت ومن بعيد ويحاول أن يدقق فى ملامحه ويمسك به ولكنه لايستطيع ..

●● وفجأة وبعد سنوات .. يتذكر .. ويشعر بقهر شديد وحزن قاتم وكأن أحد أبويه قد مات أو كليهما ..

●● وقد يتذكر أثناء رحلة علاج نفسى حين يسأله الطبيب النفسى ويلح فى السؤال : هل حدث أن شاهدت والديك أثناء الجماع وأنت طفل صغير .. وينكر المريض حين يسأل أول مرة .. وهو ليس بكاذب ولكنه فعلا لا يتذكر .. فهذا انكار لاشعورى ..

أى أنه لايريد ان يتذكر .. ولذا يعاود الطبيب السؤال أكثر من مرة وبطرق ووسائل مختلفة ، حتى حين يبرز الحدث ويطفو على سطح الوعى .. ويتذكر المريض .. كل شىء .. كل شىء .. الساعة .. واليوم .. والمكان .. وتفاصيل مارأى ووقع ذلك على الأب والأم ..

كما يذكر كيف شعر وقتها وماذا فعل بعدها .. تماما مثلما يعيد الإنسان مشاهدة فيلم سبق أن رآه مرة واحدة منذ ثلاثين عاما أو يزيد ، ويكتشف أنه مازال يتذكر أدق تفاصيل الفيلم ..

●● لماذا انزعج وخاف واضطرب واكتأب الطفل حين شاهد والديه . . ؟

●● ثم لماذا نسى الأمر بعد ذلك ولمدة سنوات ؟
●● ثم لماذا تذكر فجأة . . ؟
●● وأى أثر تركه ذلك الحدث على شخصيته ؟
●● وهل ترتبط تلك الأحداث بإضطرابات نفسية قد يتعرض لها الطفل حين يكبر . . ؟
●● وهل تأثير ووقع ذلك الحدث على الطفل الذكر يختلف عن تأثيره ووقعه على الأنثى . . ؟
●● ان ثمة اضطرابات جنسية كثيرة تدخل ضمن دائرة اهتمامات الطبيب النفسى .. وفى بعضها تكون ثمة علاقة بحادث مشاهدة جماع الوالدين ..
●● ومن أشهر الاضطرابات وأكثرها شيوعا برود المرأة وعجز الرجل ..
●● ومن أخطرها الجنسية المثلية ..
●● ومن أغربها البغاء
●● ومن أكثرها مبعثاً على الحيرة رفض الفتاة للزواج ..
●● فرويد وضع اللبنة الأولى فى محاولة فهم تأثير ذلك الحدث من خلال رؤيته الخاصة عن ازدواجية المشاعر المتبادلة بين أقطاب زوايا المثلث

الذى يجمع الأب والأم والابن أو الابنة والتى صاغها فى نظرية العقدة الأوديبية ..

ولنتعرف أولا على هذه العقدة بطريقة مبسطة تفك بعض طلاسم اللغة الصعبة للتحليل النفسى ..

●● والعقدة هى بؤرة حساسة لمسها يحدث ألماً ويفرز أعراضاً مرضية .. وعلاج العقدة بحلها .. أى بإزالة هذه الحساسية .. أى بفك الخيوط المتضاربة المتعارضة المتشابكة أى بمتابعة أصل ومصدر كل خيط وتتبعه وسلخه من العقدة فتختفى العقدة ذاتها ولايعود لها وجود ..

وفرويد يرى أن كل إنسان يمر بالمرحلة الأوديبية أى يحدث له هذا الاشتباك والتعقد الأوديبى .. قدر محتوم لافكاك منه ولكن لابد من الانفكاك منها بعد ذلك والتحرر من أثارها وإلا كانت مصدراً للمعاناة والمرض .. واستغل فرويد اسطورة أوديب الملك الذى قتل أباه وتزوج أمه .. أى ان الأمر ينطوى على جريمتين هما : القتل والزنا ..

وفى عقدة أوديب لايوجد قتل أو زنا ولكن هى ببساطة - وكما يتخيل فرويد - ذلك الحب الذى ينشأ من الطفل لأمه والذى يحمل بين طياته ميلا جنسيا

خفياً ولذلك يكون مصحوباً بالغيرة والحقد على الأب الذى ينافسه فى حب أمه .. وبذلك يتعقد الأمر .. أى تتكون العقدة .. فحبه الجنسى لأمه محرم .. وكذلك حقده وكراهيته لأبيه قاتله لأنه فى نفس الوقت يحب أباه ويراه كمثل أعلى يقلده فى كل شىء ..

ويحتدم الصراع والذى يساعد- على تشكيل الضمير .. الأنا الأعلى : بلغة التحليل النفسى » هذا الضمير الذى ينهى الطفل عن كراهية أبيه واشتهاء أمه .. هذا الضمير الذى يؤكد على مكانة الأب وحبه واحترامه والتأثر والتشبه به كقيمة عليا وكمثل أعلى ..

وهنا يبدو إصرار فرويد على المعنى الجنسى لهذه العقدة .. بينما الأمر يمكن أن نراه من زاوية أخرى وهو ان الابن يغار من أبيه الذى يحرمه من بعض اهتمام ورعاية وحب أمه ، فالطفل يولد عاجزاً يحتاج منذ اللحظة الأولى للرعاية والحب ، ولهذا شد ما يكون تأثره حين ينتقص من هذا الاهتمام الذى يتمنى أن يظل له وحده .. ولهذا فالعقدة الأوديبية لا يعتقد أن لها أى أساس بيولوچى غريزى ، ولكن النظام الأسرى يفرضها ويشكلها ..

●● فهل لومات الأب قبل ميلاد الطفل أو بعد ميلاده بقليل ـ أى قبل أن يعى ويدرك معنى العلاقات ـ لايمر الطفل بالمرحلة الأوديبية . ؟

●● بلا شك سوف يدرك الطفل انه يفتقد شيئاً أساسيا يمتلكه الآخرون .. أى سوف يشعر أنه مختلف .. وسوف يحاول أن يشكل صورة عن هذا الأب المفقود وأيضا ان يخلق مشاعر داخله تجاهه ..

فإذا كان الأب المفقود من نفس الجنس (أى الذى كان يفترض أن يغار منه ويتمنى زواله) سوف يشعر الطفل بالإثم الشديد .. أما إذا كان الأب المفقود من الجنس الآخر .. فإن الطفل سيكون صورة شديدة المثالية عنه ويتعلق بها .. فالطفل الذكر سوف يتصور ان أمه المفقودة كانت أعظم النساء .. والطفلة سوف تتصور أن أباها المفقود كان أعظم الرجال ..

●● وأيضا ستعلق الطفل بالأب الباقى .. فالطفل الذكر سوف يتعلق تعلقاً شديداً بأمه ويلتصق بها التصاقا شديدا .. ودرجة هذا التعلق ستحدده أيضا الأم .. ستتسرب إلى دمه وعقله وتحتل بؤرة وجوده

وتكون الطامة الكبرى إذا فكرت الأم فى الزواج أو الابتعاد عنه لأى سبب ..

●● وأيضا ستتعلق الفتاة تعلقاً شديدا بأبيها وتصبح وكأنها زوجته المسئولة عنه ، ويصبح مثلها الأعلى فى كل شىء وتقف كسد حائل منيع أمام زواجه من أخرى ..

●● ونفس الارتباط الشديد يحدث بين الطفل والأب من نفس الجنس .. أى بين الطفل الذكر وأبيه حين تغيب أو تموت الأم ، وكذلك بين الطفلة وأمها فى حالة غياب أو موت الأب ..

●● وثمة شىء غريب آخر يحدث وهو ارتباط الجنس بالموت وذلك على المستوى اللاشعورى . وهذا قد يؤدى إلى خوف من الجنس معناه أن الاشباع الجنسى يؤدى إلى الموت .. فهل يفسر لنا هذا بعض حالات البرود الجنسى عند المرأة أو التقلصات المهبلية التى تعوق الجماع أو الرفض المتكرر للزواج وتأجيله بصورة ملفتة ومرضية ؟ !

إنها محاولات لتفسير أسباب تلك الأمراض على ضوء العقدة الأوديبية وخاصة إذا مات أحد الوالدين وصاحب ذلك شعور شديد بالذنب وتعلق

زائد بالوالد الموجود ـ الأب أو الأم ـ وربط الموت بالجنس ..

●● إن الأسرة تقع فى حيرة بالغة من أمر ابنتها الجميلة التى تكررت خطبتها وفى كل مرة إما أن تتنصل هى وإما أن تدفع خطيبها إلى تركها .. وفى كل مرة تكون هناك أسباب شبه مقنعة تقبلها الأسرة ، ولكن مع تكرار الأمر تساورهم الشكوك ويدركون ـ حتى بدون ثقافة نفسية ـ أن هناك علة ما بابنتهم وهى الخوف من الزواج ..

المشكلة المحيرة أن الفتاه فى البداية تقبل على الخطوبة وتسعد بها ، وقد تقدم هى هذا الخطيب لأسرتها .. أى هى التى تتعرف به فى البداية ، وقد يرتبطان بالحب ثم تدعوه لخطبتها وتتم الخطوبة ..

ولكنها ترجىء الزواج وتماطل .. فإذا ضغط خطيبها عليها أو إذا حاصرتها أسرتها بموعد محدد تبدأ فى شهر أسلحتها الخفية وتصطنع الخلافات مع خطيبها وتسىء لصورته أمام أسرتها ، وقد تدعى عليه أشياء غير حقيقية ، كأن تقول عنه أنه بخيل أو يعاملها بغلظة أو أنها تأكدت من سلوكه الشائن .. أو .. أو ..

إنها تحاول أن تعثر على نقائص له تجعل من اسرتها عوناً لها على تركه .. ثم يتكرر الأمر مرة ثانية .. ومرة ثالثة .. وهى تفعل ذلك حين تفكر الأسرة مع الخطيب فى اتخاذ خطوات فعلية نحو الزواج .

●● ويلحظ خطيبها أشياء غريبة عليها .. أنها ترفض أن تقترب منه أو تلمسه ، وإذا حاول هو ، فإنها تدفعه بشدة وقد يصيبها غثيان أو قيء .. ومع بدء محاولاته تبدأ فى معاملته بقسوة وتتفنن فى الاساءة إليه وربما إذلاله حسب درجة تحمله ..

وقد تكون هى آخر من يدرك أن لديها مشكلة جنسية .. فهى لاتشعر مثلما تشعر أى فتاة .. لايتحرك أى شيء داخلها .. لم تشعر يوماً بأى ميل غريزى تجاه الجنس الآخر .. لم يشغل بالها إطلاقا هذا الأمر على أى نحو فى أى وقت من الأوقات .. لا تسعى إلى أن تعرف أى معلومات أو تتشوق لسماع أى حكايات مرتبطة بموضوع الجنس ..

قد تهتم بشدة بمظهرها .. قد يهمها أن تلفت أنظار الشباب ، قد يسعدها إعجاب شاب ، قد تمر بعلاقة مع شاب تتصور فيها أنها تحبه وتفكر جديا فى

الارتباط به ، ويتقدم ، وتخطب ، ثم يحدث هذا الانعكاس الغريب فى مشاعرها وتفكيرها وسلوكها فتنقلب إلى إنسانة كارهة نافرة مشمئزه .. حادة وعنيفة وقاسية وسليطة اللسان لاتتورع عن إهانته ومصارحته بإنها لاتطيقه وتطالبه بأن يرحل ..

وقد تعلنها صراحة أنها تتمنى موته أو انها لاتتورع عن قتله إذا أصبح فعلا زوجاً لها ولا تدعى كذباً إذا هى هددت بالانتحار تحت ضغط اسرتها لاتمام الزواج ..

●● وفى بعض الأحوال النادرة جداً يتم الزواج .. ومن اللحظة الأولى يكون هناك فشل جنسى ذريع ..

●● فى البداية تكون هناك مقاومة لأى اتصال جنسى يفسره الزوج على أنه الخوف الطبيعى لأى فتاة فى أول أيام الزواج .. ثم يستمر الرفض وتختلق الأعذار للهروب ، وإذا قهرت وغلبت على أمرها تكون كالجثة الهامدة لا استجابة ولا إحساس ..

وقد تبدى نفورها و اشمئزازها وقد تخفيه ولكن يتبدى فى صورة قىء أو صداع .. وقد تتقلص العضلات منذ أول ليلة لتكون حصنها الذى يذود

عنها .. تتقلص عضلات الفخذين والمهبل لتعوق أى اتصال ويصاحب ذلك حالة من الخوف إلى حد الذعر وتعرق وتبهت وقد تصرخ مستجيرة ..

أن الاضطراب يصيب علاقتهما منذ اللحظات الأولى من الزواج ويستمر ويتفاقم حتى لحظة انفجار أو الذهاب للطبيب النفسى وذلك يتوقف على درجة تفهم الزوج وحبه لها وصبره وانسانيته وحبه للمساعدة وتمسكه بها رغم افتقادها للمقومات الطبيعية للزوجة ، وأيضا نوعية علاقته بأسرة زوجته ومدى تفهم الأسرة لطبيعة مشكلة ابنتهم ومدى مساعدتهم للزوج ووقوفهم بجانبه من أجل علاج الابنة الرافضة الجامحة ..

●● ويتعرض الزوج لصعوبات كثيرة .. بعض الأزواج ينهون العلاقة فى الشهور الأولى ان لم يكن الاسابيع الأولى .. وبعض الأزواج يستمرون وهم قليلون .. ولا أمل فى علاج مثل هذه الزوجة المريضة إلا إذا استمر معها زوج محب ومضح ويقبل أمر الله فى أن يكون دوره هو المساعدة فى علاج انسانة لاذنب لها فى مرضها .. وأن يكون عليه أن يتحمل

الكثير .. وليس فقط افتقاد العلاقة الجنسية واحتمال الحرمان من الأطفال ، ولكن أيضا سوء معاملتها له ، إذ تبذل هى كل المحاولات الممكنة لتدفعه إلى تطليقها ..

ان هذه الفتاة لديها مشكلة مع الجنس .. لديها مشكلة مع الرجال .. لديها مشكلة مع الارتباط ..

وإذا اقتصرنا على القول بأن هناك مشكلة بيولوچية فإننا نقفل الطريق بذلك أمام أى محاولة للبحث عن أى أسباب أخرى أدت إلى ظهور هذه المشكلة ..

والتفسير البيولوچى معناه أن الفتاة تولد هكذا لأسباب وراثية أو خلقية ترفض الجنس ولا تشعر بميل له وتنفر منه ولا تستجيب لأى عوامل مثيرة .. ولأن الجنس يقدمه لها رجل ، فإن الأمر يبدو فى البداية على أنه إضطراب يتعلق بالعلاقة بالرجل .. اضطراب يتعلق بعدم القدرة على الانتماء والارتباط والتفاعل مع رجل والالتزام به ومشاركته الحياة والإقامة معه وتحمل مسئولياته وتحمل مسئولية شركة الزواج .. هكذا يبدو الأمر من على السطح ولكن الأعماق الحقيقية للأمر ترتبط بالموضوع الجنسى ..

ما هو التفسير غير البيولوجى . . ؟

— هل هى عقدة أوديبية لم تحل . . ؟

أى لم تتخط هذه العقدة أو هذه المرحلة إلى المرحلة التى تليها فى النمو النفسى الجنسى .. فالضمير أو الأنا الأعلى حينما يتكون ينهى هذه العقدة بأن ينهى المشاعر الجنسية ناحية الأب من الجنس الآخر ويدعم العلاقة والاعجاب بالأب من نفس الجنس ..

ويمر الإنسان بمرحلة كمون جنسى يعقبها الميل الطبيعى والغريزى ناحية الجنس الآخر .. التوقف عند المرحلة الأوديبية معناه . استمرار تلك المشاعر التى يصاحبها حفزات أو دفعات جنسية .. فعند الفتاة يكون الارتباط بالأب والنفور من الأم ..

ولأن العلاقة الجنسية مع الأب محرمة ، فتحرمها هى على نفسها مع كل الرجال .. وتظل تشعر بالإثم وتأنيب الضمير لمشاعرها السلبية تجاه أمها ..

انه صراع مستمر يشكل بعد ذلك علاقتها بالجنس الآخر .. وتظل فى حالة مستمرة من الخوف من فقدان الحب والشعور بالخزى وخيبة الأمل .. وأيضا

الخوف من الانجراح البدنى .. وإذا تعرضت الأم لأى مكروه يرتبط ذلك لديها بالجنس .. أى يرتبط الجنس بالأذى كما يرتبط بالموت ..

●● ومن خبرات كثير من الأطباء النفسيين فإن هذه الفتاة تعرضت فى طفولتها لموقف مشاهدة جماع الوالدين . هذا المنظر يفجر لديها كل الحفزات الأوديبية وهذا هو سر اكتئابها وفزعها لحظة المشاهدة وسر انكارها ونسيانها بعد ذلك وسر عدم تخطى العقدة الأودبية .. يستمر الاعجاب بالأب ..

وتتفاقم الصراعات ويشتد النفور مع الأم .. وتضطرب علاقتها بأى رجل .. يقف أبوها من أمامها وكأنه سد يحول بينها وبين أى رجل .. وتقف الأم من خلفها تجذبها بعنف قوة تأنيب الضمير والخوف من الجنس .. أى الخوف من الموت الذى قد يصيبها بسبب الانجراح البدنى ..

●● وعادة ما تكون الأم شخصية استبدادية مسيطرة صاحبة النهى والأمر منفلتة من حكم زوجها (أى الأب) الذى يكون مسالما مستسلما ..

وهذا الأب عادة يكون ودودا رحيما بأبنائه

وخاصة البنات . كما أن الأم تعمق مشاعر الكراهية بتنافسها مع ابنتها وخاصة فى أمور التزين والجمال والاستحواذ على الاهتمام ..

وأثناء العلاج النفسى تتذكر المريضة موقف مشاهدة جماع الأم والأب وتستعيد المشاعر التى صاحبت المشاهدة وتقرر ان تلك كانت من أسوأ اللحظات التى مرت بها بالرغم من تأكيدها انها لم تكن حينذاك تعلم ماذا كان يدور بين أمها وأبيها .

وقد تقرر الفتاة أى تتذكر أنها تصورت فى ذلك الوقت ان أباها يعتدى إعتداء وحشيا على أمها بقصد إيذائها أو العكس .. أى ان الأم هى التى كانت تعتدى على الأب .. والأولاد هم الذين يتصورون أكثر أن الأب كان يعتدى على الأم ، أو كان يحاول ان يقتلها وبذلك تزداد كراهية الابن لأبيه ! .

●● وفى بعض الحالات تكون الفتاة قد حرمت من الأب فى فترة مبكرة عن طريق موته أو هجرته للبيت أى طلاقه لأمها أو لسفره وغيابه الكثير ، أو تكون هى ذاتها نشأت ـ لأى أسباب ـ بعيدا عن أبيها .. أى لم يكن الأب متواجداً بالمعنى الكامل فى حياتها ..

وإنها فى البداية قاست من افتقاده المادى والمعنوى ثم اعتادت على ذلك بحيث اصبح من الصعب أن يكون له بديل ..

●● إذن لا جنس بمعنى : لا رجل .

●● أو لا رجل .. أى لاجنس .

هذه الفتاة تسعد أكثر مع صديقاتها .. أو مع شقيقتها .. وأيضا قد تصادق الرجال وأحيانا تبالغ فى ذلك .. ولكن ممنوع اللمس..

والعجز الجنسى عند الرجل لايمكن إخفاؤه .. ان المرأة تستطيع بسهولة ان تكتشف ان زوجها عاجز .. أما المرأة فإنها تستطيع بسهولة أن تخفى تبلدها الجنسى بل يمكن أن تكذب وتظهر لزوجها انها تستجيب وتستمتع إلى حد الذروة .. وهى تفعل ذلك فى بعض الأحيان لتخفى تلك العاهة التى تقلل من أنوثتها .. وهناك درجات للتبلد ..

●● قد تبدأ المرأة حياتها الزوجية وهى طبيعية فى استجابتها ثم تتبلد بعد ذلك .. وقد يحدث العكس .. أن تكون متبلدة فى البداية ثم تتحسن بعد ذلك ..

●● وقد يأتى التبلد على فترات متقطعة .. وقد

يأتى التبلد بعد انجاب الطفل الأول .. ولاشك ان علاقة الزوج بزوجته تحدد إلى قدر بعيد مدى استجابتها .. إلا انه وفى رأى المحللين النفسيين . لايمكن تجاهل العقدة الأوديبية من حيث مقارنتها اللاشعورية بين الزوج والأب .. وكذلك الأمر فى الرجال حيث يظل يقارن بين زوجته وأمه ..

والتبلد هو سلوك سلبى لرفض الجنس أو رفض الرجل .. أما الانغلاق المهبلى الذى ينشأ عن الانقباضات التشنجية للعضلات فهو نوع من الرفض الايجابى الذى يمنع الاتصال تماما ..

●● ولكن الذى لاشك فيه أن التربية تلعب دوراً بارزاً فى تشكيل مفهوم المرأة عن الجنس ومدى استجابتها بعد ذلك .. فقد يرتبط الجنس بالخطر ويرتبط الجنس بالخطيئة والعار ويرتبط الجنس بالانحراف ، ويرتبط التعبير عن الرغبة الجنسية أو التعبير عن وجود استجابة أو التعبير عن الاستمتاع بالانحراف والشذوذ والسلوك المشابه للساقطات .. وكذلك الازدواجية الاخلاقية التى تعطى للرجل حريات جنسية تسمح وتتسامح عن الانحلال بينما تضع ضغوطاً على المرأة .

●● وارتبط التبلد والانغلاق المهبلى بمرض الهستيريا والشخصية الهستيرية بالرغم من توافر الجاذبية الجنسية الظاهرية ..

●● ومعظم المتبلدات من الجميلات (وليس معظم الجميلات متبلدات) لأن الفتاة الجميلة صاحب نموها النفسى والجنسى تشويه للموضوع الجنسى أوديبياً واجتماعياً .. مما جعلها تفرض على نفسها كفاً جنسيا لا شعوريا .. ومع إحساسها بتلك العاهة الجنسية وهى التبلد والنفور فإنها تبالغ فى مظهرها وإبراز جمالها وتبالغ فى إظهار ميل مصطنع كاذب للرجال ..

●● والمقابل للتبلد الانثوى هو عجز الرجل .. والرجل قد يخاف من العجز أو الفشل فيقلق فيعجز ويفشل .. أما المرأة فليس لديها هذا النوع من الخوف لأنه لايستطيع أحد ان يلحظ تبلدها .. ولكن المرأة تخاف أشيّاء أخرى .. تخاف ان تفقد الحب .. تخاف أن تترك وحيدة .. تخاف ان يملها ويهملها ثم ينبذها الرجل ..

وقد يكون خوف الرجل من الاقتراب من الجنس الآخر هو سبب عجزه وفشله .. وهنا تبرز أهمية

علاقته بأمه وتأثير العقدة الأوديبية حيث التعلق اللاشعورى بالأم وتصبح كل امرأة تمثل الأم ..

وقد يكون العجز مع إمرأة بعينها ولكنه يكون قادراً وناجحاً مع امرأة أخرى ..

والغريب فى الأمر أنه قد يعجز مع المرأة التى يحبها .. أو مع المرأة الجميلة أو المثقفة أو ذات المكانة الاجتماعية المرموقة .. ولاشك أن أى امرأة يعجز معها تحمل شبهاً معيناً حتى وإن كان غير واضح لأمه ..

وقد لا ينجح الرجل جنسيا لأنه لايعطى أى اهتمام للمواضيع الجنسية ، وكذلك لا يشعر بأى استلطاف للأنشطة الجنسية ..

وعدم إستلطافه للمرأة قد يخفى وراءه إنحراف أو ميل جنسى غير طبيعى ..

●● ومشاهدة جماع الوالدين قد تشكل [illegible] مشكلاته النفسية فى علاقته بالجنس الآخر.

●● ومعظم الرجال الذين يعانون من العجز تكون لهم علاقة من نوع خاص بأمهاتهم .. تكون الأم مسيطرة ومجهضة لرجولة أى رجل حتي زوجها الذى عادة ما يكون شخصية ضعيفة وهامشية وغير مؤثرة ..

●● وتستحوذ الأم تماماً على إبنها وتشده إليها وتتدخل فى كل تفاصيل حياته .. ويتأخر فى الزواج .. أو يماطل فى إتمام الزواج .. وتساعده هى على المماطلة حتى تختار له زوجته .. وتظل أمه متدخلة بينه وبين زوجته إلى الحد الذى يمكن أن نتصور (خيالا) إنها ترقد فى كل ليلة ما بينه وبين زوجته .. وعند حدوث أزمة لايستطيع على الإطلاق أن يكون عادلا بين زوجته وأمه ، وإنما ينحاز انحيازاً كاملا وغير عادل إلى أمه حتى وإن اقتضى الأمر أن يضحى تماما بزوجته ..

●● وهنا تجدر الإشارة إلى ملاحظة قد تبدو غريبة أو هى فى واقع الأمر فى غاية الغرابة : قد يكتشف الزوج خيانة زوجته الجنسية له .. ولكنه بعد ثورة مصطنعة يستأنف حياته الزوجية معها ويغفرلها ولكن تزداد رغبته الجنسية فيها بل يشعر بميل جنسى طاغ ناحيتها بالرغم من عدم استلطافه لها قبل خيانتها ..

والأغرب أنه قد يسألها ويلح فى السؤال عن تفاصيل علاقتها الجنسية بالرجل الآخر ثم يحاول أن

يمارس معها العلاقة بنفس الطريقة التى كان يمارس بها هذا الرجل الآخر ..

ويظل يسأل عن مدى استمتاعها مع هذا الرجل الآخر ثم يعاود سؤالها مرات ومرات ويطلب منها أن تقارن بين استمتاعها معه واستمتاعها مع الرجل الآخر ..

وقمة الغرابة تتبدى حين يسعى لمقابلة هذا الرجل الآخر . وقد يسأل نفسه ..

●● لماذا غفر لها . . ؟

●● لماذا تحسنت رغبته الجنسية معها . . ؟

●● لماذا إصراره على معرفة تفاصيل علاقتها بالرجل الآخر ؟

●● لماذا محاولته ممارسة العلاقة معها بنفس طريقة الرجل الآخر ؟

●● لماذا يقابل هذا الرجل الآخر !! وربما أكثر من مرة ليسأله نفس الأسئلة ؟

●● هنا يجيبنا التحليل النفسى .

إنه هنا يستعيد العلاقة بين أمه أو أبيه . إن زوجته هى أمه وهذا الرجل هو أبوه !!

أمه التى أحبها وتمناها لنفسه وارتبط والتصق

بها .. وأبوه الذى نافسه فى حبها وكرهه وبغضه وتمنى لو تخلص منه حتى عن طريق الموت .. وفى نفس الوقت كان يعتبره مثله الأعلى !!

وحين مات أبوه تعاظم إحساسه بالذنب ولكن تعمقت وتدعمت علاقته بأمه وازداد التصاقه بها .. وتزوج .. ولكن ظلت امه فى موقعها المقدس والمحرم بالنسبة له .. ولكنه لم ينس أباه الذى تمنى موته فى يوم من الأيام وفعلا قد مات .

وجاء هذا الابن وأقام علاقة مع زوجته .. تلك الزوجة التى لم يشعر بالاقتراب النفسى أو الجنسى نحوها بسبب أمه .. وهنا تيقظت من جديد المشاعر الأوديبية .. بعث أبوه من القبر من جديد وعاد إلى أمه وأقام علاقة معها .. وجدد لديه مشاعر الغيرة والبغضاء ولكنه فى نفس الوقت أيقظ مشاعره الجنسية ..

●● وهذا يجعلنا نحاول ان نقترب أكثر من شخصية هاملت ..

هاملت كانت لديه عقدة أوديبية وتمنى لاشعوريا موت أبيه .. ولسوء حظه كان عمه على علاقة بأمه

وقتل فعلا أباه .. لقد ارتكب هذا العم جريمتين في حق هاملت : قتل أباه وأفسد أمه ..

المتوقع من هاملت ان يقتل عمه انتقاما ولكنه لم يفعل .. لم يستطع .. ان عمه خلصه من منافسه وهو أبوه الذى كان يشعر بالغيرة منه ويتمنى زواله ولذلك كان يشعر بالاثم العظيم ..

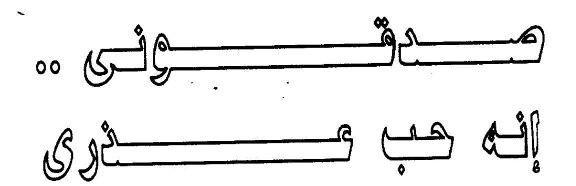
ولقد عجز عن أن يتخلص من أبيه ولكن عمه أدى المهمة بالنيابة عنه .. ولكنه حل محل أبيه . العم هنا بديل الأب .. ولهذا لم يستطع أيضا ان يتخلص من عمه .. ان هاملت كان ضحية العلاقة بينه وبينه أمه ومأساته كانت مضاعفة بموت أبيه ثم بخيانة أمه ..

●● ما أتعسه من إنسان ..

● ● ●

الفصل الرابع

إمرأة تحب :





●● ويمعن فرويد فى تخيلاته .. وينام ويصحى على موضوع واحد وهو الجنس .. وشغل العالم كله وربما حتى الآن بتصوراته النظرية الناشئة عن مشاكله هو الشخصية .. أو فلنقل عقده التى عانى منها واستخلص منها نظرياته وعممها على مرضاه .

●● إلا أن بعض نظرياته صادفت هوى فى نفوس بعض الأتباع .. البعض آمن به إيمانا راسخاً ، والبعض الآخر سلك طريقه فى البداية ثم انحرف مجدداً ومضيفاً .. ولكن بقى فرويد حتى الآن وخاصة حين نلمح آثاراً من أفكاره لها جانب من الصحة ونحن إزاء مريض نفحصه ونغوص فى أعماقه .

●● وتقوم نظريته الأساسية على ما يسمى بالجنسية الطفلية .. وهى تعنى ان الإنسان يسعى ناحية الجنس منذ ميلاده .. ويمر الطفل بمراحل نمو جنسى ينبنى عليها نموه النفسى .. لهذا فإن مراحل النمو تسمى بمراحل « النمو النفسى الجنسى » وتبدأ بالمرحلة الفمية ثم الشرجية ثم الأوديبية ثم الكمون ثم !

وبعد ذلك الجنسية الراشدة والتى يميل فيها الإنسان ميلاً طبيعياً إلى الجنس الآخر الذى يختار منه رفيقه .

●● إذن كلنا نمر بالجنسية الطفلية والتى تبدو وكأنها جنسية منحرفة .. وهى كذلك إذا ثبت عندها الشخص أو عاد إليها واستمتع بها .. والتخيلات المنحرفة تحدث فى حياة كل إنسان وذلك لانه كان يوماً ما طفلا ، ولهذا فإن أى كائن بشرى من الممكن أن يصبح منحرفاً فى ظروف ما .. والانحراف له أشكاله المتعددة وله درجاته .. والانحراف موجود فى كل العصور وكل الأجناس وربما كان مسموحاً به فى بعض فترات التاريخ .

●● والآن هناك ردة أو عودة إلى التساهل والتسامح مع بعض أشكال الانحرافات مثل الجنسية المثلية .. فالتقسيمات الحديثة للأمراض النفسية والعقلية حذفت الجنسية المثلية كمرض واعتبرته أسلوب حياة .. طريقة خاصة يحصل بها الشخص على لذته .. ليس مريضاً .. وليس شذوذاً .. ولكن تكوين خاص يحقق له حرية الحياة بالطريقة التى ترضيه .

●● وفرويد يرى أن اساس كل الانحرافات الجنسية هو عقدة اساسية تسمى بعقدة « الخصاء » .. ومعناها أن الطفل الذكر فى يوم من الأيام حينما شاهد أخته بدون أعضاء جنسية ظاهره مثله أصيب بالخوف الشديد وتصور أنها كانت مثله وتعرضت للبتر .

والفتاة ترى شقيقها وقد امتلك أشياء تفتقدها فأصابها الحزن وتصورت أنه كان لها مثله ولكنها تعرضت للبتر فتشعر بالذنب .

والمنحرف شخص يعانى من عقدة الخصاء .. وهو من خلال انحرافه يحاول أن يدلل بأنه ليس هناك خصاء .. وهو يحاول أن يصدق تدليله .. وكلما تحققت له اللذة الجنسية بأسلوبه المنحرف .. زاد تصديقه بأن ليس هناك خصاء .

●● والأساس الثانى فى النظرية الفرويدية والذى يرتكز عليه فى تفسير الانحرافات الجنسية بالإضافة إلى عقدة الخصاء هو الجنسية الثنائية البيولوجية فى الإنسان .. فأى إنسان هو ذكر وأنثى فى آن واحد .. الهرمونات المؤنثة توجد فى الرجال ،

والهرمونات المذكرة توجد فى النساء .. ولهذا فكل جنس يصبح لديه عدد من خصائص الجنس الآخر .. فهناك مشاعر وأفكار وأخيلة وميول واهتمامات انثوية عند كل رجل .. وكذلك هناك ميول ذكرية عند كل أنثى .

ولعل هذا القدر الموجود يتيح لكل جنس أن يفهم الجنس الآخر ويتصور مشاعره بل ويشاركه بعض ميوله واهتماماته الأنثوية .. والناس قديما أدركوا أن هناك « امرأة مسترجلة » و « رجل مؤنث » .. أى فى بعض النساء يزيد لديهن ذلك النصيب البيولوچى الذكرى فيصبحن أقرب إلى الرجال فى مزاجهن وميولهن واهتماماتهن ومواقفهن وأسلوبهن فى الحياة .. فهى أنثى ظاهرياً ولكن بداخلها رجل يملى أفكاره ومشاعره ويدفعها للتشبه بالرجال فى طريقة حياتهم .

وكذلك بعض الرجال يزيد لديهم النصيب البيولوچى الأنثوى فيصبحون أقرب إلى النساء فى تفكيرهم وسلوكهم واهتماماتهم وأسلوبهم فى الحياة .. هو رجل بداخله أنثى .

وهذا معناه أن لهذه البيولوچية الثنائية نسبا

ودرجات إذا زادت فى اتجاه ما .. أصيب هذا الميزان الحساس بالخلل وظهرت لدينا نماذج بشرية غير سوية .. والمرأة التى يزيد نصيبها الذكرى فى تلك الثنائية البيولوچية تميل أكثر إلى مجتمعات الرجال تتوحد إلى حد ما معهم ، ولكن فى نفس الوقت تتحداهم وتهاجمهم وكأنها تثأر لضعفها الأنثوى الذى ترفضه وتحض بقية النساء على الثورة والمطالبة بحقوق ذكرية ، ويساعدها فى ذلك الرجل الأنثوى الذى نال حظاً أكثر من الأنثوية فى تلك المعادلة البيولوچية الثنائية فيطالب بنفس الحقوق الوهمية للمرأة وكأنه يدافع عن أنثويته .

●● وفى الحركات التحررية للمرأة فى أى مكان فى العالم نجد آثاراً من هذا .. نساء مسترجلات يقدن الحركة ، ورجال مؤنثون يناصرون الحـركة .. والحركة هى ضد ظلم الرجل وقهره واستعباده للمرأة واستمتاعه بحقوق يحرم منها المرأة .. الحركة ضد الأنوثة وضد دور المرأة التاريخى كزوجة وكأم .. الحركة ترفض استسلام المرأة وخضوعها الجنسى للرجل .. وترفض اقتصار مسئوليتها على رعاية شئون البيت وتربية الأطفال وتنادى بما يسمى

المساواة الكاملة مع الرجل فى داخل البيت وخارجه .. أى اقتراب أكثر من الرجل والتوحد معه والتخلى عن قدر أكبر من الأنوثة البيولوجية الاجتماعية الثقافية .

●● وتصادف أفكار هذه الحركة هوى لدى النساء اللاتى اختل لديهن ميزان البيولوچية الثنائية وكان لديهن نصيب أكبر من الذكرية .. وكذلك تصادف هوى وقبولاً وتأييداً لدى الرجال الذين اختل لديهم ميزان البيولوچية الثنائية وكان لديهم نصيب أكبر من الذكرية .

وهذه الحركة تصادف أذاناً صماء وعدم اهتمام بل وإنكاراً من النساء اللاتى يتمتعن بقدر موفور من الأنوثة ، ومن الرجال الذين يتمتعون بقدر موفور من الذكورة .. أى من هؤلاء الرجال والنسوة الذين يتمتعون بميزان سليم فى تلك الثنائية البيولوچية .

●● والخلل الشديد فى الميزان قد يؤدى إلى إنحراف الجنسية المثلية .. أى الميل العاطفى والجنسى إلى نفس الجنس واستبعاد الجنس الآخر تماماً .

●● والجنسية المثلية عند الرجال ـ اعتمادا

على الأفكار الفرويدية ـ تعتمد أساسا على عقدة الخصاء .. فالرجل يهرب من المراة ويخاف من الاتصال بها .. لأن رؤية كائن بلا أعضاء تناسلية أمراً يثير لديه الرعب .. وبذلك يصبح الاتصال بالرجل أمر يبعث على الطمأنينة .. فذلك الرجل الآخر يمتلك مثلما يمتلك هو تماماً من أعضاء ، ويظل على المستوى اللاشعورى ينكر أنه لا يوجد كائن آخر (المرأة) تفتقد إلى هذه الأعضاء .

●● والرجل المثلى الجنسية يكون فى الغالب مرتبطاً ارتباطاً شديداً بأمه .. أى هناك حب أوديبى .. فهو مثلها يحب الرجال .. والأب ضعيف ومستبعد أو غائب والأم مسيطرة وقوية وهى محور الارتكاز ومركز الجذب والاهتمام ومصدر الرعاية .. وهو يتحدث عن حبه الشديد لأمه علناً وبصراحة ويسجل فى كل وقت إعجابه بآرائها وتوجيهاتها وعدم قدرته على الإستغناء عنها ، إذ هو يعتمد عليها فى كل أمور حياته ، وهو لا يستطيع أن يتنازل عنها من أجل امرأة أخرى .

إذن ثنائية الجنسية والعقدة الأوديبية وعقدة

الاخصاء تشكل الواقع النفسى الجنسى لهذا الإنسان وتهيؤه للانحراف .

●● والجنسية المثلية عند النساء مرتبطة أيضاً بعقدة الخصاء .. فالمرأة فى هذه الحالة ترفض أن تنظر إلى رجل لانه يذكرها بأعضائها التناسلية التى فقدتها عن طريق البتر .. يذكرها بإثمها الذى من أجله عوقبت .. يذكرها بضعفها ونقصها ، ولهذا فهى تنفر منه ويكون ملاذها امرأة أخرى .. وقد تصبح عدوانية تجاه كل الرجال وتلعب هى دور الرجل مع امرأة أخرى .. إذن الجنسية المثلية عند المرأة تنطوى على أمرين هامين : النفور من الرجل ، والعدوانية الشديدة تجاهه إلى حد التقزز والتلذذ من إيذائه والسخرية منه وخاصة كلما زاد إحساسها بالنقص وزادت لديها مشاعر الغيرة والحسد لامتلاكه لأعضائه التناسلية .. هذه الأعضاء التناسلية التى تجعلها سلبية ومتلقية إذا هى دخلت فى علاقة جنسية مع الرجل .

هذه العلاقة الجنسية تؤكد سلبيتها وضعفها وخضوعها واستسلامها .. والجنسية المثلية عند المرأة قد تكون مكبوتة ، أى تكون على مستوى

الميول اللاشعورية ، وفى هذه الحالة تغالى المرأة فى خصومتها للرجل وهجومها عليه وتحض النساء الأخريات على الثورة والعصيان والاستغناء عن الرجال والاعتماد على النفس (وكأنها تدفعهن إلى الجنسية المثلية) .

●● والأمر كله ليس جنساً فى جنساً .. فالفتاة قد تحب فتاة أخرى حباً عذرياً رومانسياً يصل إلى حد العشق دون وجود أى ميول جنسية .. فهو حب للحب وليس من أجل الجنس .

الطفلة الصغيرة قد تحب زميلة لها بالمدرسة .. وقد تحب معلمتها .. والمعلمة ذاتها قد تحب تلميذة لها حباً شديداً وتتعلق بها وتفضلها على كل التلميذات .

وهذا يحدث أيضا فى أى مرحلة من مراحل العمر .. امرأة تحب امرأة أخرى .. تشغل بالها فى كل الأوقات وتغير عليها وتغدق عليها الهدايا ولا تأتنس إلا معها ولا تسعد إلا معها ، تفضى لها بكل مكنونات نفسها ، وتبتئس إذا ابتعدت عنها ، وتنهار إذا أحست بتحولها أو خيانتها .

إنه الحب بكل أبعاده وتفاصيله المعروفة مثلما

الحب بين الرجل والمرأة .. إنه حب متكامل بين امرأة وامرأة .. وغالبا ما تلعب إحداهما دور الرجل والأخرى دور الأنثى .. أى إحداهما تكون الراعية والأخرى تتلقى الرعاية والتدليل .

ويعوق هذا الحب أى غرض للعلاقة بالجنس الآخر .. وهى تقرر أنه ليس لديها مشاعر تجاه الرجال على الإطلاق ولا تتخيل نفسها زوجة لرجل .. لا عاطفياً ولا جنسياً .

●● ولابد أن تنشأ صعوبات جمة أمام هذا الحب ، فبالرغم من عذريته (أى لا جنس) إلا أن المجتمع يرفضه ، والأسرة تخاف على ابنتها من تعطل حياتها .. والحب قد يكون من طرف واحد ، وهنا يكون العذاب والألم ، وغالباً هذه الصورة نراها فى حب التلميذة لمعلمتها .. وتتألم الطفلة الصغيرة أو المراهقة لإهمال معلمتها لها ورفضها لحبها وابتعادها عنها .

●● أما إذا تجاوب الطرف الآخر ، أى تجاوب الطرفان معاً ، فإنهما يعيشان قصة حب كاملة بأفراحها ومتاعبها .

وميل المرأة إلى المرأة يرجحه المحللون النفسيون إلى عاملين :

١ - أن الحب الأول فى حياة أى امرأة هو امرأة أخرى .. الأم .. ان أول تعلق للطفلة هو تعلقها بأمها .. وقد يحدث تثبيت عند هذه المرحلة دون أن تنتقل الطفلة بعواطفها إلى موضوعات أخرى .. انه التثبيت الباكر على الأم .

٢ - البنت قد تعانى من شعورها بأنها غير محبوبة من الأب لانها بنت ، وانها كانت ستكون محبوبة أكثر لو كانت ولداً .. على المستوى الواقعى .

ومن خلال الخبرة الاكلينيكية لكثير من الأطباء فإن هذه المشاعر تكون موجودة لدى الكثير من الفتيات .. وقد يرسخ فى وجدان الفتاة تأكيد أمها لها بأن أباها أصيب بخيبة أمل حين ولادتها لانه كان يتمنى ذكراً .. ومشكلة تفضيل الذكور ليست مقصورة على بعض الأجناس أو الثقافات أو الحضارات بل هو أمر يختص به كل الجنس البشرى ، ولهذا فقد يكون هناك إحساس جماعى عند كل الفتيات بأن مجيئهن للحياة لم يكن مرغوباً فيه من ناحية الآباء .

ويدعم هذا الشعور المعاملة المتميزة التى قد يحظى بها شقيقها ، ثم القيود التى تتعرض لها بعد ذلك ، ثم النواهى عن سلوكيات معينة توصف بأنها معيبة والتى ترتبط مباشرة بكونها أنثى .

●● ولهذا فإن هذه الفتاة تختار فتاة أخرى لتكون موضوع حبها لتلعب معها دور الأب الذى يحبها بالرغم من أنها فتاة .. الأب الذى فضلها ورفض من أجلها حب الرجال .. أو قد تلعب معها دور الابنة التى تحظى بحب وتفضيل أبيها .

إن التلميذة الصغيرة حين تختار معلمتها وتحبها فكأنها تريد أن تشعر بأن معلمتها هى أبوها .. وكذلك المعلمة أو السيدة أو الفتاة الكبيرة التى تختار فتاة صغيرة لتحبها فكأنها تريد أن تلعب دور الأب الذى يفضل البنت على الولد .. وتعاملها بحب ورقة وكرم زائد على نحو ما كانت ترغب فى أن يعاملها أبوها .

●● وهذا التعلق إلى حد الحب ، أو هذا الحب إلى حد العشق قد يكون عرضاً لأحد الأمراض وخاصة العقلية ، أو قد يكون مظهراً لاضطراب فى الشخصية ، ولذا فالأمر قد يحتاج لرعاية طبية نفسية .

الفصل الخامس

جسد للبيع :

أشترى الحب .. فمن يبيع ؟

●● تداخل موضوعى الحب والجنس يجعلنا لا نستسيغ كثيراً النظرية الفرويدية .. والعقدة الأوديبية عند فرويد هى عقدة جنسية بالرغم من أننا نستطيع أن نستسيغ وأن نتقبل كثيراً من التفسيرات المنبثقة عنها إذا تناولناها من منظور وجدانى ، أى أن تكون العقدة الأوديبية على مستوى الحب فقط وليس الجنس .. أى أن الابنة تحب أباها حبا فعليا وتغار من الأم وكذلك يفعل الابن مع الأم .

●● وكثير من المشكلات النفسية تنشأ عن نقص الحب .

●● وتصاب البنت بإحباط شديد إذا هى افتقدت حب أبيها وخاصة إذا كانت هناك قسوة متعمدة وإهمال مقصود ونبذ ورفض قائمان على كونها بنتاً .. هنا تبتعد الفتاة نفسياً عن أبيها .. وتصاب بحالة التبلد الوجدانى ، وهذا نوع من الحماية لذاتها المحطمة المحيطة .

●● مادام أنه لا يحبنى فلن أحب أحداً .

●● وقد أعرف كل الرجال ولكن لن أحب أحداً منهم .

●● سأتعامل مع أى رجل بجسدى فقط وليس بوجدانى .

●● ولن ينال أى رجل منى أى شىء إلا إذا دفع الثمن .. ولن ينال أكثر من جسدى ولوقت محدود بقدر ما يدفع ولكن لن ينال حبى .

●● وبذلك أكون قد انتقمت من أبى حين انتقمت من نفسى وجعلت جسدى سلعة تباع .. حقرته حين حقرت ذاتى لانه هو - أى والدى - هو بعض ذاتى أو هو مالك ذاتى كلها .

●● هذا هو المونولوج الداخلى اللاشعورى للبغى أى المرأة التى تمارس البغاء .

والبغاء هو مشكلة المشاكل .. وهو أخطر العلاقات بين الرجل والمرأة .. ولا يمارس إلا على مستوى الإنسان ، فهو غير معروف على مستوى الحيوان . وهو علاقة تقوم على أساس المال فى مقابل الجنس .. لذا فهو علاقة غير سوية ، لأن العلاقة الجنسية السوية تقوم على أساس حس جنسى وأيضاً وجدانى .. ولا تكون العلاقة الجنسية سوى علاقة بدون الشق الوجدانى .. الجنس بالنسبة للبغى مهنة وبالنسبة للعميل الذى يلجأ

إليها شهوة .. الجنس عند الأسوياء يبدأ وجدانياً وينتهى إلى الإشباع الجنسى، أى أن الشق الوجدانى يمهد للشق الجسدى.

الجسد فى علاقة البغى هو نقطة البداية والنهاية والإشباع لديها مادى محض، وبالنسبة للعميل الإشباع جسدى محض وبانتهاء الإشباع ينتهى دور البغى من حياته ولا تحمل عنده أى ذكرى.

●● ولا تستطيع البغى أن تمارس عملها إلا إذا تعطل وجدانها تماماً فهى بلا مشاعر .. بلا عواطف .. إنها امرأة تعانى من تبلد كامل فى الوجدان .. لا تحمل حباً لأى مخلوق، ولا يمكن دفعها للتجاوب الوجدانى على الإطلاق مهما بذل من جهد لاستدراجها وإدرار عواطفها .. إنها نضبت وجفت تماماً وليس بداخلها لمحة إحساس لأحد .. وهى لا تتفاعل مع أى موقف أو حدث إنسانى، بل هى أسقطت مشكلة الإنسان وكل إنسان من اهتمامها الوجدانى .. فلا أحد يعنى شيئاً بالنسبة لها .. ولذا فالمعنى الوحيد فى حياتها هو المال، وهو القيم العليا والهدف الذى يحركها .. إن الجنس فى حياة البغى ليس هدفاً ولا يحقق إشباعاً، بل هى لا تمارس جنسياً، بل هى تمنح جسداً ليمارس

فيه الجنس من قبل العميل ، وتكون أثناء الجماع فى شدة التركيز على ما ستحصل عليه من مال منه وممن يأتى بعده .

إذن البغى أسقطت الجانب الإنسانى أيضاً فى العميل .. ولا فرق عندها أن يمارس الجنس معها إنسان آلى أو إنسان بشرى أو عفريت .. المهم أن يدفع .

وينسحب التبلد الوجدانى على كل حياتها .. فهى لا تفرح ولا تحزن .. لا تتألم ولا تتلذذ .. اللهم إلا اختلاجات بسيطة تهزها حين تربح أكثر أو حين تقع على صيد ثمين .. وهى تشبه فى هذا من يعانون الفصام البسيط ، وأيضاً تشبه إلى حد التطابق أصحاب الشخصية السيكوباتية .

●● أى أن السمة المشتركة التى تجمع علاقتهم (البغى والفصامى والشخصية السيكوباتية) هى تبلد الوجدان .. عدم الإحساس بأى إنسان .. عدم التفاعل مع أى موقف .

●● يجمعها مع الشخصية السيكوباتية عبودية المال والأنانية المطلقة .

●● والدراسات العلمية أكدت ارتفاع نسبة الفصام البسيط والشخصية السيكوباتية بين من يمارس البغاء .. أى أن البغى قد تكون سيكوباتية أو فصامية .. أى أن هناك علة أو مرضا خطيرا أدى إلى هذا السلوك الشاذ .. فالتفريط فى الجسد بدون عواطف وبدون إطار أخلاقى اجتماعى يعد من أكثر أنواع السلوك اضطراباً .

●● وكما هو معروف فإن البغى لا تحس بجسدها مثلما لا تحس بوجدانها .. أى هى ميتة الجسد وميتة العواطف .

●● ومثلما هى فى اللاشعور ناقمة حانقة على أبيها ، فإنها أيضاً تمتلىء عدواناً ضد المجتمع أى ضد كل الناس .. ضد كل الآباء والأمهات .. وضد كل الرجال والنساء .. فهى بوعيها تعرف أن كل الناس أسقطوها كنموذج إنسانى ، فهى لا شىء أو هى شىء لا يثير إلا التقزز ويدعو إلى النفور والفرار .

حتى عميلها الذى يلجأ إليها يكون كالوحش الجائع يلتهم جسدها بقسوة بدون أدنى لمسة حنان أو عرفان .. بدون لمسة إنسان .. عيناه لا تفيضان إلا بالجوع ، ويداه تعتصرها حتى آخر قرش

سيدفعه ، ولهذا يكون بينهما صراع أثناء الجماع . فهو كالمشترى الذى يريد أن يدفع أقل ويأخذ أكثر ، وهى كالبائع الذى يريد أن يتربح بأكثر مما يعطى من بضاعة .

هذا المزاج التجارى يكون مسيطراً على كل منهما وهما يمارسان ، ولهذا فنظراتها إليه تكون مليئة بالحقد والحنق وتتمنى لو دفع لها ثم مات ، وتكون نظراته إليها مليئة بالجشع والاستغلال .

إذن أثناء لقاء البغى بعميلها وأثناء لقاء الجسدين تفوح منهما أحط المشاعر الإنسانية من كراهية وعدوان واستغلال .. وهذا يقودنا إلى قلب الحقيقة وأهم حقيقة وكل الحقيقة أنه لا يمكن أن تصبح علاقة بين إنسان وإنسان إلا إذا كان جوهرها وهدفها وأساسها الحب .. والوجدان فى الإنسان هو الأصل وهو التاريخ الحقيقى للإنسان لانه بدونه ينتهى الإنسان من على الأرض .

●● وإذا اختفى الحب من أى اتصال بشرى حل التحفز والتوقع السيىء والأنانية والتهيؤ للانقضاض والتحسب للعدوان .

●● ولهذا هناك تصور أن (البغاء) قديم قدم الإنسان نفسه .. أى أنه حينما توافر عدد كاف من النساء والرجال على الأرض بدأت هذه المهنة الشاذة الغريبة لترتبط أو لتعبر عن الجانب السيىء فى الإنسان الذى يفرز أسوأ المشاعر والذى يكشف عن عورة نفسية خطيرة تصيب بعض الناس وهى موت المشاعر ..

وبالرغم من محاربة البغاء وحصاره فإن البغاء لم ولن يختفى ، وهو مثل أى سلوك إجرامى آخر لا يتأثر بالقمع أو الردع العقابى .. فالقتل هو أول جريمة فى تاريخ البشرية ربما أعقبها البغاء ثم السرقة .

والمجتمعات البشرية الآن وفى هذا العصر مازالت تعج بالقتل بصوره المختلفة والسرقة أى الاعتداء على حقوق وممتلكات الآخرين بصورها المختلفة وكذلك البغاء بصوره المختلفة .

وإذا استعرنا كلمة البغاء وجوهره فإننا سنجد صوراً متعددة للبغاء غير بيع الجسد .. سنجد من يتاجر بأسرار الآخرين وبأسرار بلده .. سنجد من

يتنازل عن كرامته ويبيع جزءاً منها أو كلها أو يتنازل عن دينه أو علمه .. سنجد من يطوع دينه أو علمه أو مبادئه من أجل يتربح .

ان هذا الإنسان اللا إنسان يتمتع بنفس سيكولوچية البغى وهو التبلد الوجدانى .. انه الشخص الذى يتحالف مع الشيطان من أجل مصالحه وأهوائه ويدوس على أى قيمة وأى مبدأ .

●● وهناك من يتاجر بأعراض الآخرين وهو القواد .. والذى يضعنا أمام علاقة ثلاثية تشمل الثالوث : قواد - عميل - بغى .

●● والقواد لم يسلم من التحليل النفسى الذى يصفه كطفل ارتبط بأمه ارتباطاً شديداً وتثبت عندها ولكنه فى نفس الوقت لا يستطيع الاقتراب منها أو امتلاكها ولذلك يمنحها الآخرين ، ويتوحد هو مع هؤلاء الآخرين الذين يمثلون الأب بالنسبة له .

وهذا التوحيد يتيح له فرص أخيلة الممارسة معها والاقتراب منها فهو الذى أتى بهم وهو الذى يقبض منهم وهو الشاهد على علاقاتها بهم .

●● أى أن العقدة الأوديبية تجمع الثلاثة (العميل .. البغى .. القواد) .. فالعميل هو نفس

الطفل الذى يبغى أمه ويريد الحصول عليها ولكن سبقها إليه أبوه ، فيتهم أمه بالبغاء فى علاقتها بأبيه ، وهذا الاتهام هو إسقاط لرغبته فى أن تمنحه ما منحته للأب .

والبغى تعيش أخيلة علاقتها المحرمة مع أبيها من خلال ممارستها البغى .. وكذلك يفعل القواد بأمه من خلال تقديمها للآخرين .

●● وعلى مستوى الواقع نجد فعلاً القواد الذى يقدم أمه أو أخته أو ابنته أو حتى زوجته للآخرين .

●● على مستوى الواقع نجد الابن الذى يعرف ويتستر على علاقة أمه الجنسية بشخص آخر غير أبيه .. ونجد الشخص الذى يغض البصر بعد أن سهل علاقة أخته الجنسية بشخص يبغى منه مصلحة شخصية ، ونجد أيضاً - وهذا هو الأغرب - ذلك الشخص الذى يدفع زوجته دفعاً غير مباشر (ومباشراً أحياناً) للدخول فى علاقة مع شخص آخر .. وقد يثور ظاهرياً ولكن سلوكه يؤكد أنه يريد لهذه العلاقة أن تستمر ، بل أن رغبته وإقباله الجنسى ناحية زوجته يزيد ويتحسن بفضل وجود هذه العلاقة ، وبذلك يكون لدينا منظومات ثلاثية

متعددة : الزوج والزوجة والعشيق .. الابن والأم والعشيق .. الأخ والأخت والعشيق .. الأب والابنة والعشيق .. وهى منظومة تشبه منظومة القواد والبغى والعميل .. فهم جميعاً هذا القواد ولكنه في هذه الحالة مريض خطير يمتلىء عدواناً ويتفجر عنفاً لينهكه الصراع ويزيده مرارة ، ولكن كل ذلك نجح العقل الباطن فى كبته وأتاح له مخرجاً بأن يصبح قواداً ليحقق من خلال ذلك أخيلته الجنسية عن طريق الطرف الثالث .

●● ودور القواد ليس مقصوراً على الأفراد ولكن هناك مجتمعات بل دول يتحول معظم أفرادها إلى قوادين ، أى ان الحس الاجتماعى السائد هو حس أو روح القواد .. وذلك حين يقدمون تنازلات مرتبطة بالمقدسات من أجل الحصول على منافع ومزايا مادية .

●● ونعود إلى الشخصية السيكوباتية فنجده لا يمانع إطلاقاً وفى أى لحظة وحين تتاح الظروف الملائمة أن يتحول إلى قواد إذا كان ذلك سيعود عليه بالنفع المادى .. بل ويتحول إلى محام خاص

وبارع من أجل الدعوة للبغاء والدفاع عن وجوده واستمراره وتعداد فوائده .. والمقصود هنا البغاء بمعناه الأوسع والأشمل وليس بغاء جسد المرأة فقط .

●● البغاء بمعناه المعروف يقوم على أساس « المال فى مقابل الجنس » أما بمعناه الأشمل فإن له صوراً متعددة : « المال فى مقابل الكرامة » ، « المال فى مقابل المبادىء » ، « المال فى مقابل الشرف » ، « المال فى مقابل الدين » وأيضاً « المال فى مقابل الوطن » .

●● والفقر هو أضعف الأسباب التى تدفع امرأة لأن تصبح بغياً ، حيث ان المجتمعات الثرية عرفت البغى كذلك الأسر التى تنتمى إلى طبقة اجتماعية رفيعة الجاه والثقافة .. وبرغم ثرائها فإنها تطمع فى الحصول على مزيد من المال والمزايا .. وهذه البغى الأرستقراطية لا تمارس بشكل روتينى ومفضوح ولكن عن طريق صفقات تعقد فى الخفاء . وقد تتعامل مع العميل مرة واحدة فقط .. أو قد تمكث مع عميل بعينه فترة زمنية تطول أو تقصر حسب قدرته على

الدفع .. أو قد يكون هناك أكثر من عميل منتظم وفى وقت واحد .

●● وهى من البداية لديها ما يسمى « بالبغى المقنع » أى لديها الاستعداد والميول لأن تصبح بغياً ثم تأتى لها الفرصة .. والفرص عادة تأتى من خلال صديقة .. ولا يقود امرأة إلى البغاء إلا امرأة أخرى .. المرأة هى التى تفتح الباب لامرأة أخرى .. وغواية امرأة بالبغاء عن طريق امرأة أخرى أسهل وأسرع وأكثر إقناعاً .. والمرأة تجد متعة من نوع خاص حين توقع بامرأة أخرى تماماً مثل مدمن الهيروين الذى يحرص على دعوة آخرين لعالم الهيروين ويبتئس ابتئاساً شديداً حين يعالج ويشفى أحد المدمنين .

●● الإنسان وهو يسقط يحتاج إلى من يسقط معه .

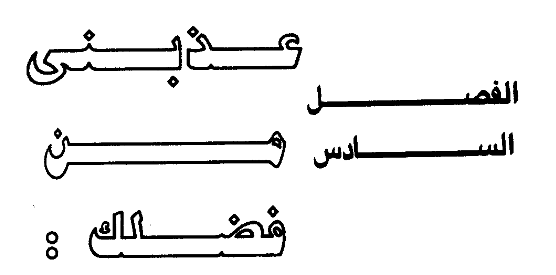
●● والبغى المقنعة أى التى لم تمارس البغاء بشكل فعلى ، تمارسه بشكل جزئى ، أى لا مانع لديها من تقديم بعض التنازلات غير الكاملة أمام تحقيق مصالح شخصية .. فتنبسط وتتلاطف مع شخص

مقابل حصولها على ما تريد ، وكلما اشتـدت حاجتها .. زاد حجم تنازلاتها حتي تتحول إلى بغى كاملة .. وبالتالى فإن هناك عدداً كبيراً من البغى المقنعين يسقط بعضهن بالكامل مع مرور الأيام وضغط الحاجة .

●● وفى النهاية فإن البغاء يمثل أحد جوانب الصراع فى الحياة .. انه الصراع بين الرغبة والقدرة .. ومن يمتلك القدرة يستطيع أن يشترى أجساد من يرغبن فى بيعها .. ولكن دون أن يرتوى أىٍ منهما ، لانه لا يرتوى الإنسان إلا بالحب ، ولكى يكون حباً لابد أن يكون بلا مقابل .

● ● ●





الفصل السادس

المازوخية



●● من الصعب الإحاطة بكل خبايا النفس البشرية .. إنها شديدة التعقيد فى بنائها ، شديدة الاعوجاج فى دهاليزها ظاهرها غير باطنها أو سطحها هو انعكاس محرف لقاعها .، وقاعها بعيد الأغوار معتم فى معظم جنباته يتوه فيه الباحث عن الحقيقة والمفتش عن الأسرار .

والخريطة محدودة فى تفاصيلها لا تفسر إلا القليل وعلينا الاجتهاد فى الباقى .

والغوص فى أعماق النفس يحتاج إلى مهارة ، ليست مهارة الغوص ولكن مهارة التأمل والعثور على المنشود والكشف عن المستور .. إنها مهارة الإحساس ورقة الشعور فالأمر جد دقيق ، زئبقى التكوين والمغرور هو من يظن أنه يستطيع بقبضة يده أن يمسك بزمام النفس ولكنه فى الحقيقة يكون كالقابض على الهواء .. ان المشكلة ليست فيما يعانى منه الإنسان ولكن المشكلة واللغز هى تلك النفس البشرية .. أى الإنسان نفسه هو المشكلة .

●● وكما أوضحنا فإن البغاء هو أحقر صنوف السلوك البشرى .. والبغى حين تبيع مالا ينبغى أن يباع وتقبض المال ، إنما هى تحط من نفسها لتغرق

فى وحل أسود ليس عن وعى أو إرادة أو رغبة حارقة وإنما بفعل عوامل لا شعورية تدفعها إلى أن تهدر ذاتها وتبعثر إنسانيتها لتصبح من المنبوذين .. وكأنها توقع العقاب على نفسها .

ومن المنطلق الأوديبى كانت هناك محاولات للتفسير أو لكنها لم تكن مقنعة أو لم تقدم التفسير الشافى .. وكذلك الحال مع العديد من المحاولات التى تصدمنا بأنها تخالف النزوع الإنسانى الفطرى والتلقائى الباحث عن اللذة والمفادى للألم .. فالإنسان فى صورته السوية يتفادى كل صنوف الألم النفسى منها والجسدى ويتجه بتلقائية إلى كل ما هو محبب للنفس والجسد ليجلب لذاته المادية والمعنوية الراحة والنشوة واللذة .

●● ولكن هناك من يمشون فى عكس هذا الاتجاه .. بمعنى أنهم يبحثون عن الألم ويجدون فى السعى من أجله ، وليس هذا معناه أنهم يتفادون اللذة والنشوة والسرور ، فالألم ذاته هو مصدر لذتهم وسر نشوتهم ومبعثهم سرورهم .

●● وحين التعرض للألم الفعلى يصدر من

صوته وتعبيرات وجهه علامات توحى انه يتألم كارهاً وانه يريد التخلص من هذا الألم ، ولكن فى حقيقة الأمر فإن هذه هى صرخات اللذة وتعبيرات النشوة وتكون نفسه مفعمة بالسرور .. فهو الساعى إلى الألم ، المشتكى منه ظاهرياً ، الراضى به باطنياً .

●● تلك هى المازوخية .. وتلك هى الشخصية الباحثة عن الهزيمة والإحباط والفشل والمهانة والذل والعذاب والألم .

●● وقد يرتبط الأمر بالجنس ، وقد يكون بعيداً عن أى شبهة ارتباط بالجنس .

●● بل ان هناك من الشخصيات التى تسعى للإصابة وذلك بكثرة تعرضها للحوادث ويسمى ذلك بالاستهداف للحوادث .. وذلك أيضاً شكل من أشكال المازوخية .. أى هو يستعذب الألم الناجم عن إصابته فى حادث .

●● ويبدو أن الأمر يرتبط على نحو ما بالشعور برابطة ما بين الألم والجنس .. فالألم هنا يكتسب معنى جنسيا حيث يسبق الشعور باللذة أو يكون هو

ذاته باعثاً على اللذة ومحركاً لها ، وبذلك تصبح المعاناة شرطا ضروريا للحصـول على اللذة الجنسية .

●● كيف نشأ هذا الارتباط .. ؟ هل هو ارتباط شرطى على مستوى قشرة المخ .. أى على السطح حينما ارتبط الألم فى مرحلة مبكرة من العمل بالحصول والشعور باللذة الجنسية .. أن أنه ارتباط كامن فى اللا شعور منشؤه عدم فك الاشتباك الأوديبى واستمرار الصراع ، فتتحول الفتاة إلى بغى ويتحول الرجل إلى قواد ، أويلبسان قناع المازوخية حيث الألم عقاباً علي الشهوات المحرمة تجاه الأب أو الأم .. أى حين يستشعر الرغبة الجنسية لابد من ألم يسبقها ليحركها ويصاحبها ، فلا جنس بدون ألم حتى يصبح الألم بعد ذلك ، كمصدر للمتعة الجنسية .

●● أم أنه ابتزاز لتعاطف وحب الطرف الآخر .. فهو الذى حرك الطرف الآخر ليعذبه ويؤلمه وبذلك جعل منه متهماً وتحول هو إلى ضحية .. والضحية باشتداد ألمها تحرك عواطف المتهم القاسى وتجعل

فؤاده يرق وبذلك تحصل على حبه .. وتكون المعادلة الألم فى مقابل الحب .. اجعلنى أتألم ولكن اشملنى بعطفك وحبك .

●● فلتدم جسدى ولتكو روحى ولكن اجعلنى انظر لعينيك فأرى حباً وحناناً .

●● فلتمزق يدك جسدي وليفتت لسانك كرامتى ولكن فلتترابط أجزائى مرة أخرى بجاذبية حبك وحرارة مشاعرك .. (عاقبنى باشتهائى المحرم لك ولكن ابق على حبك لى) .

●● أم أن هذا الإنسان المثقل بالألم والذنب والمتوقع للعقاب القاسى فى أى لحظة يبادر هو بترتيب وتخطيط منه بتنفيذ « سيناريو العذاب » وبذلك يكون هو متحكماً فى توقيت وحجم العذاب .

●● هل هو ارتباط قديم بين الألم والجنس ؟

●● هل هو احتياج الحب وإن كان الثمن فادحاً ؟

●● أم هو الشعور بالذنب وإن كان العقاب مهلكاً ؟

●● إنها حقاً مشكلة محيرة !!

●● وليس الأمر كله جنساً .. فقد يكون السعى ليس إلى الألم الجسدى وإنما الألم المعنوى

كالشعور بالذل والمهانة والحقارة والدونية والتفاهة .. وهذه المشاعر قد تجلب لذة جنسية ولكن قد لا يكون لها أى صلة بالجنس .

●● والتقسيم الأمريكى الثالث للأمراض قد وصف بالتفصيل سمات هذه الشخصية التى أسماها الانهزامية الذاتية .. أى التى تسعى لهزيمة ذاتها وتهرب من كل فرصة تحقق منها نصراً أو سعادة أو نجاحا ، بل هى تبحث عن المواقف والعلاقات التى تجلب لها عذاباً وتعاسة .

●● إنه يبحث عن سوء المعاملة .. أو هو يستفز الناس ليسيئوا معاملته .. إذا وجد أن الأمور تمضى بسلام يساوره قلق وضجر وفتور .. إذا صادف احتراماً وتقديراً تبرمت نفسه وحاولت أن تشككه فى صدق نوايا الآخرين .. إذا قابل ترحيباً وفعل ما يوجب الاستحسان ضاقت واختنقت نفسه وجعلته يرى الترحيب سخرية والاستحسان استهزاء .

ولذا فإن أى فعل طيب يصادفه من الآخرين يحاول أن يقلبه إلى إساءة ويمعن فى تصعيد الأمور حتى

ينقلب الآخرون ضده ويوجهون له فعلاً الإساءة وساعتها تهدأ نفسه ويتلذذ وينعم إلى حد الطرب .

ويحار الناس فى أمره ، فكلما حاولوا أن يتلطفوا معه فإنه يجرهم جراً إلى الإساءة إليه وربما يدفعهم إلى إهانته ، وإذا فشل فى دفعهم إلى هذا المنزلق حاورهم بالألفاظ ووضع على ألسنتهم عبارات تحمل أكثر من معنى ثم يختار هو المعنى الجارح له واعتبره صادراً عنهم ضده بالرغم أنهم فى واقع الأمور لا يعنون كل الذى تصوره هو .

●● وكذلك يصطنع المواقف التى تضعه فى موقف محرج ومهين لا يتناسب مع سنه .. أو مكانته أو ثقافته .. ولذلك فهو يجهض أى محاولة لمساعدته بل هو يستجيب لأى إنجاز حققه بالاكتئاب والشعور بالذنب ليفسد أى سعادة ويحصل بدلاً منها على الألم .. فالشعور بالذنب يلازمه بل ويتعاظم بنفس قدر نجاحه .. وإذا أقدم طواعية على فعل الخير أو أى فعل طيب فإنه يبرره بالضعف والخوف وعدم وجود النية الخالصة .

وهو أيضاً يجعل الآخرين وخاصة المحيطين به والمقربين إليه يشعرون بالإحباط وأيضاً الغضب

لإنه لا يبدى أى رضا أو سعادة لما يحاولون أن يفعلوه من أجله لإرضائه ، بل هو دائم عدم الرضى والسخط والتقليل من جهد الآخرين واتهامهم بالتقصير .. وإذا كان هناك سرور عام يشمل المجموعة فهو يتعمد إفساده حتى يتهم بانه مصدر المشاكل وهادم الأفراح .

وبالرغم من إمكانياته وقدراته فإنه لا يفعل شيئاً من أجل نفسه وإذا بدأ شيئاً لا يتمه .. بينما نراه أحيانا يقدم خدمات فائقة للآخرين من واقع خبراته ولكنه يحيط نفسه دائما بالفشل والعجز لكى يتحقق له فى النهاية الشعور بالإحباط .

●● وهو يفقد حماسه لمن يهتمون به أو يحيطونه بالحب والتقدير أو من ينجذبون له عاطفياً .. بل أحياناً يشعر بالتقزز لمن ينجذبون له جنسياً ويهرب منهم ويمل من شدة الاهتمام ، بينما يتحرق شوقاً لمن يهملونه ولا يتجاوبون معه ، ومن يديرون له ظهورهم ويجد هو فى البحث عنهم واللحاق بهم والتقرب إليهم ، حتى إذا بدأوا فى الاهتمام به انصرف عنهم .

●● وقد يقدم على تضحيات كبيرة من أجل الآخرين ، تفوق إمكانياته وترهقه .. تضحيات يقدمها تطوعاً وتسبب اندهاشاً أو حرجاً للآخرين لعدم توقعهم هذا القدر من العطاء .. وبعد أن يبتلعوا « طعم » تقبل تضحياته ينقلب ضدهم ويذكرهم بأفضاله وتضحياته ويضغط عليهم حتى ينفجروا ضده غير عابئين بما فعل من أجلهم بل وساخرين مما فعل ، وبذلك يكون قد حصل على بغيته وهو التدليل على صحة المثل القائل « اتق شر من أحسنت إليه » .

●● أى مشكلة نفسية غائرة يعانى منها هذا الإنسان .. أى جرح قديم دفين مازال ينزف .. ما سر هذا الاعوجاج الخطير الذى أصاب تلك النفس الشقية ؟ ! وما معنى أن يبحث الإنسان عن الذل والمهانة بدلاً من الاحترام والرفعة !! أى سر وأى معنى فى انقلاب الأمور !!

●● هل هو عدم الثقة بالنفس .. أم الحساسية الزائدة ، أم الشعور الدائم بالاضطهاد والذى يبحث له عن أدلة .

●● هل نحن أمام سمات لشخصية معينة أم أعراض لمرض لم يظهر بعد ولم يتحرك منه إلى السطح إلا تلك المظاهر الغريبة .

●● هل هذا الخلل فى البناء النفسى موروث أم مكتسب بفعل أحداث جليلة مرت على صاحبنا فى طفولته وحفرت آثارها السلبية فى داخله وعطلت نموه ونضجه النفسى فظل ثابتاً عند مراحل أولية فى النمو النفسى تتسم بارتباط الألم باللذة والمهانة بالرضا والقبول ؟ .

●● هل هى مازوخية محضة أم تنطوى أيضاً على سادية إذ هو يجعل الآخرين يشعرون بالإثم لانهم المتسببون فى عذابه وألمه !! وهل يمكن أن تجتمع السادية والمازوخيـة معاً فى شخص واحد .. ؟ هل هو الجلاد والضحية معاً فى شخص واحد ؟ .

أم أن الضحية تريد أن تتفانى فى الجلاد وتذوب فيه وتصبح جزءاً منه .. هل المازوخية معناها الجسدى ومعناها المعنوى هى محاولة للذوبان فى الطرف الآخر ويكون ثمن ذلك الخضوع الكامل وهذا

الخضوع قد يكون جنسياً .. أى يصبح الخضوع شرطاً لتحقيق خضوع معنوى بحيث يشعر مريض الخضوع أنه لا حياة له ولا قيمة له ولا أهمية له ولا وجود له إلا من خلال الطرف الآخر .

●● أنا لا شيء بدونك .

●● وحين أصير جزءاً منك فأنا كل شيء .

●● أنا لا معنى لى بدونك .

●● وحين أصير جزءاً منك فلقد حققت المعنى من وجودى .

●● أنا بذاتى المستقلة لا أعنى شيئا بالنسبة لك .. ولذا فأنا أخضع لك خضوعا كاملاً لأصير جزءاً منك حتى أصبح قادرة على إثارة اهتمامك .

●● وليس هذا حباً .. فالحب لا يقتضى من أحد الطرفين أن يشعر بتفاهته وضآلته قياساً إلى روعة وجلال واكتمال الطرف الآخر .. انها حالة من الوله سرعان ما تتحول إلى مازوخية حيث تتحقق اللذة من خلال الألم المادى أو الألم المعنوى بالخضوع الكامل والذى بالقطع يحرك الجزء السادى الموجود لدى الطرف الآخر ولدى أى إنسان .. وفى الخضوع

ملامح من المشكلة الأوديبية حيث يحب الصغير الكبير .. ويحب الضعيف القوى وحيث لا يملك إلا الخضوع لعله يستثير اهتمام الطرف الآخر المنصرف عنه .

والخضوع بهذه الصورة منتشر فى النساء ، ونادر فى الرجال .

● ● ●

الفصـــل السابع **الإندفاعـــات :**

أنا عاجــز أمام نفســى

●● من يستطيع أن يوقف سقوط حجر ضخم من قمة جبل بأصبع يده ؟ .. من يستطيع أن ينفخ فى وجه موجة عالية ليوقف مسارها ؟ من يستطيع أن يحتج ضد شلال فيوليه ظهره ويغرس قدميه فى الارض ليعوق اكتساحه .؟ من يستطيع أن يهزأ بريح صرصر عاتية فيخلع قميصه فى وجهها ليشتت قوتها ؟ .. من يستطيع ان يسخر بنار صارمة فيستدر دموعه لاطفائها .؟

●● ان الإنسان ليقف عاجزاً فى أحيان كثيرة أمام قوى كاسحة إذا اعترضها أوقعته وطوته ..

●● وان الانسان ليقف حائرا فى أحيان كثيرة امام دفعات تشبه شلالا هادرا أو ريحا هائجة فى قوتها وقسوتها واندفاعها فإذا قاومها إنكسر وانطوى ..

●● إنها دفعات تسيطر على الإنسان ، تنطلق من عقله هو لامحرك ولا باعث لها من الخارج .. إنما من داخله تندلع كشرارة تضرم ناراً لاسعة ثم حارقة تومض كبرق فيرتعد بدنه حائراً راغباً وعاجزاً عن المقاومة إذ تستبد به الرغبة استبداد السيد بالعبد .. فيتحول إلى عبد طائع لرغبة دافعة لفعل ضار له ولغيره ..

.. إننا أمام مجموعة من الاضطرابات تعرف باسم اضطرابات التحكم فى الدفعات ، والدفعات غريبة وقد تكون شاذة ولكنها تحقق إرضاء واشباعا ..

أى أن هناك متعة أثناء الاستجابة للدفعة وحالة من الأرضاء والرضى بعد تمامها من الشبع والارتواء والهدوء والسكينة .. وقبلها يكون هناك توتر ويعلو التوتر تدريجياً حتى يختنق به الشخص .. والتوتر يسهم فى الضغط من أجل الخلاص .. وصاحب المشكلة يدرك خطورة ما يفعله ولكنه لا يستطيع ان يقاوم أو لايريد أن يقاوم ، فاللذة قادمة والمقاومة عبث ولا حيلة فى الهروب من التوتر المتزايد إلا بإتمام الفعل المدفوع إليه بتلك الدفعة القوية كشلال ..

ورغم سوء العاقبة فإنه يستمر إلى آخر مدى بدون أن يكون قادراً على التحديد الإرادى لنقطة نهاية ، فالأمر يفلت من يديه ولا يتوقف إلا بعد الوصول إلى درجة نسبية من الإشباع .. وقد يعقب ذلك الشعور بالأسف والندم وخاصة إذا أصاب الناس مكروه من جراء فعلته .. وقد لا يكون هناك

ندم .. إذ يطفى الإحساس بالإرضاء على مشاعر الاثم والأسف .. ثم يتكرر الفعل مرات ومرات تحت تأثير دفعات لاتتوانى إلا إذا كان هناك علاج يتصدى لها ..

ورسمياً أى فى كتب الطب النفسى هناك خمسة صنوف من هذه الدفعات وهى المغامرة والسرقة والحريق وشد الشعر والانفجار .. ويصبح الأمر نوعا من الولع أو الهوس .. وقد يكون هناك صنوف أخرى متعددة من الدفعات غير موصوفة فى الكتب ولكن يخبرها كل إنسان على حده .. أى أن كل إنسان منا لديه دفعة أو دفعات معينة معروفة عنه أو يخفيها ويناضل فى التستر عليها ..

فكل إنسان تستبد به أشياء معينة تجعل لعابه يسيل وعينيه تزيغان ونفسه يتقطع وأطرافه ترتجف ويزأر بداخله وحش ، ويحاول أن يستجمع عقله وعلمه وخبرته وتجربته وقيمه ومنطقه ليقيم سداً يحتمى به ولكنه يعجز .. أى إذا حاول أن يقاوم فإن مقاومته تنهار .. أو مقاومته فتكون فى البداية قليلة ومن باب أداء الواجب وحتى لايلوم نفسه .. أى حتى لايوجعه ضميره .. وقد لايقاوم على الإطلاق من البداية وينصاع لالحاح الدفعات ..

.. هكذا الانسان ..ومكابر ومغالط من يقول عكس ذلك ..

ولكن هناك دفعات مرضية وخطيرة ..

● مثل دفعه المقامرة أو ولع أو هوس المقامرة إنها حالة من الانشغال الدائم للمقامرة والحصول على المال لا لشيء إلا للمقامرة .. إنه ولع ووله وحب وعشق وهيام .. إنه التفكير فى كل وقت ، وهى الرغبة الدائمة الملحة والشدة فى العضلات والتوتر فى الأحشاء والخفقان فى القلب .. وكلما اتيح مال أو أتيحت مناسبة انطلق كالسهم وبدون وعى ويحط حيث يقامر .. ويستمر ويستمر .. لايستطيع ان يحدد متى سيتوقف وكم سينفق .. ويدفع .. ويخسر .. ويكسب .. ويخسر ويخسر أو يكسب ويكسب .. تقريباً يستوى الأمر .. أى يستوى المكسب والخسارة .. فالمقامرة ليست للمكسب .. إنها المقامرة للمقامرة .. ولكن المكسب مر الطعم أو هو الواجهه أو هو الهدف الظاهر الزائف ..

وحجم المال الذى يقامر به يتناسب مع حجم المال الذى معه أو الذى يستطيع أن يحصل عليه بأى

طريقة .. أى هو لايحدد قدراً محدودا أو ثابتاً منذ البداية أو يرتبط به كلما قامر .. فإذا كان معه الكثير قامر بكل هذا الكثير .. وإذا كان معه القليل قامر بكل هذا القليل .. وإذا أفلس فإن عقله يتفتق عن ألف حيلة للحصول على المال .. وإذا تعهد لنفسه ووعدها بأنه سيحدد قدراً معلوماً من المال ليقامر به أخل بوعده أمام نفسه .. وإذا تعهد لنفسه ووعدها بأنه سيبقى لوقت محدود أخل بوعده لنفسه .. فكلما زاد المال الذى يقامر به وكلما طالت الساعات .. كلما زادت وعظمت الإثارة .. إذ لابد أن يصل إلى مستوى أو إلى درجة معينة من الإثارة ..

إن استمراره هو محاولة للوصول إلى هذه الدرجة .. إنها تشبه الذروة أو النشوة النهائية والتى يعقبها الرضا والاسترخاء والراحة .. وإذا انتزعوه وأبعدوه قبل أن يصل إلى هذه الدرجة من الإثارة فإنه يقاوم وإذا استسلم مكرها شعر بالضيق والكآبة مثلما يشعر بعظيم التوتر والقلق والعصبية وعدم القدرة على الاستقرار إذا عجز بعض الوقت لأسباب خارجة عن إرادته عن المقامرة ، ويخسر اليوم كل ما معه من مال .. ويعود فى اليوم التالى

تحت زعم استرداد ما خسر بالأمس ..

وقد يحاول ان يقلل أو يتوقف .. وقد يبتعد لفترة ولكنه يعود .. يعود دون أن يدرى لماذا عاد .. أو يعود تحت ضغوط من « الشلة » .. أو يعود بعد تعرضه لضغوط أسرية أو فى العمل أو ضغوط اقتصادية ..

إن القلق مرتبط إرتباطا وثيقا بالمقامرة .. انها العلاج الوهمى للقلق والتوتر والضغوط والشعور باليأس والهروب من الواقع .. إنها الإثارة التى تطغى على ما يعانيه الإنسان من ضغوط وهموم وقلق ..

وقد تستبد الدفعة به فيندفع ليقامر فى الوقت الذى كان من المفروض ان يصاحب فيه ابنه أو زوجته للطبيب لمرض ليس هينا ، أو يشارك فى عزاء قريب أو فرح صديق .. ان المقامرة تشغله عن أهم الواجبات الأسرية والاجتماعية ..

بل قد يضحى بعمل هام أو بمناسبة للترويح لينطلق إلى حيث يقامر .. لقد ارتبطت عواطفه وأفكاره بل وكل كيانه بالمكان حيث يقامر ..

وبالرغم من الصعوبات الشديدة التى يواجهها من نقص خطير فى رصيده ، أو ديون يعجز حقاً عن سدادها فإنه يستمر فى الاستدانة ويتحايل ويبيع مايملك بسعر بخس ، وفى ظروف قليلة قد يلجأ إلى أساليب غير شريفة للحصول على المال .. وبالرغم من احتمال انهيار أسرته وبالرغم من مشاكل جمة فى عمله وكلها ناشئة بسبب استمراره فى المقامرة .. بالرغم من كل هذا فإنه يستمر .. ويستمر .. وكلما زادت المشاكل الناشئة عن المقامرة وحاصرته إزداد فى المقامرة ..

●● والمشكلة قد تبدأ فى سن المراهقة .. وتختفى وتعود .. والاحتمالات كبيرة فى أن تصبح مزمنة ..

●● والانتحار أو السجن هى بين النهايات المتوقعة .. والضغوط التى لاتطاق قد تكون من أحد الأسباب التى تدفع انسان ما (لديه الاستعداد) للمقامرة .. وبزوال هذه الضغوط يبرأ من ولعه ..

●● وحالات الهوس (المرح المرضى) قد يصاحبها انخراط خطير ومستمر إلى حد الخراب

الكامل فى المقامرة .. إنه ينفق بلا وعى ويقامر بلا حساب وبإبتهاج زائف حتى للخسارة ..

●● وبعض الدراسات أشارت إلى احتمالات الوزاثة .. حيث السيدة المقامرة قد تكون أمها مقامرة قديمة ، وكذلك الرجل المقامر قد يأتى من أب مقامر قديم ..

والشخصية الدورية التى تتعاقب عليها فترات من الحزن ثم فترات من المرح الزائد تولع بالكحول أو المقامرة أو الاثنين معا .. وإذا اشتد الاكتئاب تزيد المقامرة وأيضا إذا اشتد المرح أو الهوس تزيد المقامرة ..

●● والشخصية السيكوباتية (ضد المجتمع)قد تجد بعض المتعة فى المقامرة .. وهى الشخصية التى تبحث عن الإثارة اللحظية والنشوة الفورية وذلك يشكل بعض ميله للمخدرات .. والسيكوباتى المقامرة هو الذى يغش ويسرق وينصب من أجل أن يستمر فى المقامرة ..

●● وأحد البحوث التى أجريت على المقامرين الذين يعانون من داء فقدان المقاومة وجد ان أغلبهم

يعانون من الاكتئاب المزمن وآخرون يعانون من القلق المزمن ..

والاكتئاب قد يكون مقنعاً أى غير ظاهر بأعراضه الاكلينيكية المعروفة ، وتكون المقامرة هى العرض الوحيد أو ربما الوسيلة الوحيدة التى يحاول بها المريض تخفيف حدة إكتئابه ..

●● وقد تكون المقامرة عقابا للذات المكتئبة .. فالمكتئب يشعر بالاثم ويتمنى العقاب أو هو يقدم على عقاب نفسه وإلحاق الأذى بها .. فالمقامر يبعثر ماله ويلحق الضرر بسمعته وأسرته ويضطرب عمله أى أنه فى النهاية يدمر نفسه كمشعل الحريق الذى تحرقه النار الذى بدأها ، أو اللص الذى يترك أثراً ليقبض عليه ..

●● أما القلق فأساسه الخوف من شىء مجهول .. وكلنا نخاف من المجهول ونخشاه .. وجميعنا لدينا بعض التوقعات السيئة .. أما فى القلق النفسى فإن الأمر يأخذ أبعاداً مرضية ترهق المريض .. والمقامره هى استعجال لكشف المجهول ومعرفة ما يخبئه .. إنه تحد واستفزاز للقدر أنى أكشف لى عما ستفعله بى .. سأربح أم سأخسر .. إن

لحظات المقامرة فيها تصعيد للتوتر وحالة من الانتباه التام وتهيؤ لمعرفة النتيجة وحين ، يكشف عن المستور تهبط بشكل مفاجىء حدة التوتر ، ومهما كانت النتائج (مكسب أو خسارة) فإن انخفاض التوتر يصاحبه إحساس بزوال القلق والراحة .. إنه اصطناع موقف حاد يتعالى فيه التوتر ثم يزول .. انه سيناريو للعبة القدر .. ولكنه بدلا من ان يلعب بى القدر سأتحكم أنا فى اللعبة .. بدلا من أن انتظر قرارات القدر سأتحكم أنا فى توقيت ظهور القرار .. وإذا خسرت فسأستمر لأنى سأكسب حتما فى المرة القادمة أو المرة بعد القادمة أو المرة الألف .. المهم اننى سأكسب فى لحظة ما مباغتة وبذلك أكون قد انتصرت على القدر (!!)

●● وأدخل التحليل النفسى أنفه الجنسى فى موضوع المقامرة .. فيرى أن استثارة المقامرة تناظر الاستثارة الجنسية ، واستثارة الكسب تناظر استثارة النشوة ، كما أن استثارة الخسارة تناظر عقوبة الخصاء ..

●● وأخطار ولع المقامرة تحيق بالشخص نفسه

وأسرته .. ولكن هناك دفعات من نوع آخر تسيطر على بعض الناس وتؤدى إلى ما يشبه بالكوارث .. وأخطرها ولع إشعال النار .. ياله من هوس غريب يتوق فيه الإنسان لأن يرى النار مشتعلة تأكل كل شىء وحينئذ يشبع ويهنأ ويزول توتره وتنتشى نفسه بلذة غريبة تخدر وجدانه وجسمه ..

●● ماذا يجلب له النشوة ؟ أهى النار أم ما تحرقه النار ..

●● ومثل أى نوع آخر من الدفاعات فإن الرغبة تأتى مباغتة وتتصاعد مع تصاعد حالة من التوتر الضاغطة حتى لا يملك أمامها مقاومة فيستسلم بلا وعى وبلا تدبر وبلا حساب لأى عاقبة فيشعلها ، وهنا تشتعل داخله شرارة النشوة وتتزايد النشوة وهو يرى النار تعلو وتنتشر .. ينظر إليها بإعجاب وإنبهار واندهاش ويقترب ولا يبتعد وتعكس أضواءها على وجهه المتوهج ويود لو يعانقها كما يعانق العاشق محبوبته ، وتصرصر فتدغدغ أحاسيسه ، ويشد من عبق رائحتها ليتحقق الانسجام الكامل عبر كل حواسه حتى يصل إلى الذروة محققاً الشبع والارتواء وليخفض توتره إلى

الصفر ويعلو استرخاؤه إلى المائة ولا يلتفت كم دمرت وأتلفت ..

●● وهو لا يشعل ناراً إنتقاما أو لاخفاء جرم أو لغرض سياسى أو لتحقيق مكسب مادى .. وهو ليس بمريض عقلى وليس مصاباً بآفة فى مخه وليس سيكوباتياً ..

●●وقبل ان تظهر الحالة بوضوح ويشعلها ناراً فعلية فإنه كان منذ طفولته مولعاً بمشاهدة النار والعبث بأعواد الثقاب وإشعالها ومتابعة الحرائق فى الأفلام بلهفة ، وتأمل رجال الإطفال كيف يلبسون وماذا يفعلون .. ولعل تحديقه فى النار واقترابه منها كان مثيرا لاستغراب ودهشة والديه ..

●● وبالرغم من أن ولع اشعال النيران يندرج تحت « فشل مقاومة الدفعات » وهذه الدفعات تأتى فجائية وتتطلب وتلح التحقيق الفورى ، إلا أن اشعال النيران يحتاج إلى وقت وإعداد وترتيب .. فى هذا الوقت يكون مريضنا كالمنوم أو كالمسحور المأخوذ يتصرف وكأنه فاقد لوعيه أو كالإنسان الآلى ..

●● والغريب فى الأمر أنه قد يترك أثارا تدل على شخصيته وتشير إليه بأصبع الاتهام ، وهذا على عكس من يخطط لاشعال حريق لهدف معين والذى يتخذ كل الاحتياطات الواجبة لابعاد الشبهة عن نفسه ..

.. إن مريضنا بتركه أثارا قد تدل عليه وكأنه يريد أن يمسكوا به ليعاقبوه أى أنه يبحث عن العقاب .. والباحث عن العقاب هو المذنب الذى يؤنبه ضميره أو هو المكتئب الذى يشتد لديه الإحساس بالإثم ..

.. وهل نصدق المحللين النفسيين الذين يؤكدون على مصاحبة النشوة الجنسية لاشتعال النار !!

●● وماذا تقول عن الذين يوقعون باسمائهم فى المكان الذى اشعلوا فيه النار ، ولولا بقية من وعى .. أى استمرار اتصالهم بالواقع لتركوا أيضا عناوينهم التى تقود إليهم ..

●● إنها صورة من صور إيذاء الذات

●● عداء الإنسان لنفسه .

●● وأيضا هذه الحالة تمثل صورة من صور إيذاء الذات .. عداء الإنسان لنفسه .. عدوانه على

جسده لتشويهه .. مستعملا أظافره التى تجرح جلده حتى تدميه وتحدث جروحاً تترك آثاراً قد لا تمحى ..

●● وتمتد الأصابع للشعر فتنزعه من جذوره تاركة مساحات جرداء فى الرأس كمن أصابه صلع مبكر أو أصابة مرض أدى إلى تساقط شعره ..

●● يتألم الإنسان لهذه الفتاة الجميلة ذات الخد المشوه ويتصور أن اعتداء وحشيا وقع عليها من يد آثمة أغمدت أظافرها فى جلدها . ويندهش غير مصدق أن هذه اليد هى يدها هى .. كل فتاة فى عمرها أو أى امرأة فى أى عمر يقلقها شكلها ومظهرها وتحرص على أن تبدو فى أكمل وأجمل صورة وتتألم إلى حد الحسرة إذا أصابها ما يجرح جمالها .. وتبذل جهدا فى أن تعالج وتدارى عيوبا وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بجلدها .. ولكن هذه الفتاة عامدة متعمدة تسىء إلى هذا الجلد وفى ابرز مكان تقع عليه عيون الناس .

●● يتألم الإنسان ايضا ويتعاطف مع هذه الفتاة الجميلة الصغيرة التى بدأ شعرها فى التساقط فى هذه السن فظهرت مساحات فى رأسها تشبه صلع

الرجال .. يتصورها الإنسان بائسة وباكية على مستقبلها الذى ضاع .. فما أهم شعر الإنسان ومدى تأثيره على الشكل ..

ويندهش غير مصدق أن يدها هى قد تحولت إلى مقص طائش تملكه الانتقام فراح ينتزع الشعر بلا هوادة أو رحمة ..

تقول الفتاة فى محاولة لأن تصف حالتها : من الصعب أن أصف لك كيف أشعر قبل أن تمتد يدى إلى رأسى .. إنها حالة من القهر لا أستطيع مقاومتها .. رغبة عارمة تتملكنى لأرفع يدى إلى هذا الجزء من رأسى لأعريه من شعره .. تتوتر يداى .. تتشابك الأصابع فى ضغط متبادل وكأنها تقاوم شيئا .. وكأنها تضغط على شىء يحتويه لتحطيمه ..

وتتدريجيا تتخاذل فتتباعد مستسلمة .. وفى نفس الوقت أحس بأشياء غريبة فى تلك المنطقة من رأسى .. شىء يسرى تحت الجلد فيقلق جذور شعرى وأكاد أحس بكل شعرة على حده .. يتركز كل الأحساس فى هذه المنطقة وتتحرك مشاعرى تجاهها

وكأنها تنادى أو تستغيث فتهرع يدى إليها .. وعند هذه اللحظة ينصرف وعيى عنها .. وبدون إرادة أو فهم انتزع شعرة شعرة .. تتحرك أصابعى بمهارة لتلقط كل شعرة على حدة .. ولكن أصابعى لا تستسلم وتلجأ إلى العنف لنزعها .. ترفعها .. ثم تبسطها أمام عينى فأشعر بالارتياح .. وتتعاون الأصابع فى لف الشعرة حول أحدها وكأنها وقعت فى يسر لافكاك منه ثم يدفعها لأسنانى لتقضمها أو لأنفى لتشمها .

وتعاود الأصابع نشاطها مرة ، تلو مرة حتى تهدأ نفسى أو حين أحس بألم شديد فى هذه المنطقة من الرأس التى انتزع معظم مافيه من الشعر فى مرة واحدة ..

●● تسألنى ، ألا أخاف أن أفقد كل شعرى بهذه الطريقة ؟! أجيبك بأننى لا أفكر فى هذا كثيرا . إننى أحاول تغطيته أو البس باروكة أحيانا .. و إذا كنت خائفة حقا لما كررت هذا الأمر مئات المرات حتى فقدت نصف شعرى كما ترى .. أقول لك إنها رغبة عارمة قهرية تدفعنى دفعا إلى انتزاع شعرى .. إذا قاومتها أشعر بقلق وغيظ ولا تهدأ نفسى إلا بعد أن

أشعر بالألم فى رأسى .. بعد أن أنزع أكبر قدر من الشعر .

لا أستطيع أن أقرأ أو أكتب إلا وأصابعى تمارس هوايتها فى شعرى وحين أتأهب للنوم .. وحين أكون وحيدة .. وحين يسرح خيالى بعيدا وتستولى على أحلام اليقظة .. وحين أشعر بالغيظ من إنسان .. أجلس حزينة مهمومة لسبب ما ، أو بدون سبب .. تنبهنى أمى فأتوقف .. دهشتها تحولت إلى قلق ثم إلى غضب ، وأصبحت متفرغة لمراقبتى لتحول بين أصابعى وبين شعرى . البعض قد ينزع شعر الحاجب أو الرموش أو الشنب ..

الحالة قد تصيب الأطفال أيضا .. والتحليل النفسى يرى أن عدوان الطفل نفسه هو أساسا عدوان موجه إلى الأب والأم لا همالهما له .. وقد تمتد يده إلى شعر طفل آخر ينزعه .. وهنا تجتمع المازوخية والسادية ..

بعض الحالات تظهر فى مرض الفصام الاضطهادى .. ولكن فى معظم الحالات لايوجد مرض عقلى .. وإنما تظهر الحالة فى شخصية تتسم

بالعجز والاعتمادية تعانى صراعات نفسية ناشئة عن عجزها فى التعامل مع الناس والتكيف مع الواقع ومواجهة المشاكل والمواقف الصعبة .. والصراع أيضا بسبب عدم قدرتها على الاستقلال العاطفى .. فهناك الرغبة فى الاستقلال وعدم القدرة عليه فى نفس الوقت ..

البعض يرى أن نزع الشعر يحقق لذة نتيجة للألم المصاحب .. فالصراعات التى تعانى منها هذه الحالة تدور حول موضع الجنس والإحساس بالذنب المصاحب له ..

●● نعود مرة أخرى إلى تفحص مشاعر هذه الفتاة والغوص فى أعماقها .. ماذا تفعل بنفسها .. ؟ إنها تعتدى على نفسها .. وهذا يعنى إنها تشعر بالعداء تجاه نفسها .. هذا العداء يولد لديها الرغبة فى الاعتداء .. وهو اعتداء جسيم يهدد جمالها .. نسترجع كلماتها فنجدها تقول إنها لا تستطيع مقاومة هذه الرغبة ، وأنها حين تنزع شعرها تكون غير واعية .. ثم تهدأ مع كل شعرة تنتزعها ..

ثم تقول فى النهاية أنها لا تشعر بالأسى حتى بعد

أن فقدت نصف شعرها . وهنا تبرز عدة اسئلة : هل معقول أن يناصب الإنسان نفسه العداء ؟! هل يمكن أن يعتدى الإنسان على نفسه بهذه القوة فيشوه شكله .. ؟ إذا تفحصنا بدقة سنجد ان هذه الفتاة تحب نفسها .. أو بمعنى أدق لا تحب إلا نفسها .. أى أن هناك حبا شديدا للذات لا يسمح بأى مشاعر تجاه الآخرين وذلك ما يعرف « النرجسية » ..

● من هو الإنسان النرجسى ؟ الإنسان النرجسى هو الذى لم تتح له فرصة أن يحب الآخرين .. وذلك لأن الآخرين لم يقدموا له أى حب .. إن ذلك يرجع إلى مرحلة مبكرة من العمر .. فى الطفولة .. حين تعرضت مشاعر الطفل وعواطفه إلى الإيذاء .. فعواطف الطفل تجاه الآخرين تتكون من خلال عواطفهم نحوه .. فهو يجب أن يتلقى الحب أولا .. الحب غير المشروط ، ويجىء هذا الحب فى صورة الاهتمام والترحيب به .. ويجب أن يدعم باستمرار ليتأكد من هذا الحب .. فإذا شعر بالاطمئنان فإنه يبادلهم الحب حتى يضمن استمرار عطائهم .. وبذلك يشعر بذاته كيانا مستقلا يأخذ ويعطى فى علاقة

تبادلية عادلة .. يأخذ حبا ويعطى حبا .. والحب معناه أنه لن يتعرض للايذاء .. لن تجرح مشاعره .. وبذلك لن يحتاج إلى أن يأخذ موقفا دفاعيا يشعر معه بالتهديد المستمر ..

إذا تعرض الطفل للإهمال العاطفى وجرحت مشاعره شعر بالتهديد .. وبهذا يجب أن يدافع باستمرار عن نفسه ضد اعتداء متوقع .. دفاعه عن نفسه يكون فى شكل تجميع وتوجيه كل طاقات الحب نحو نفسه وكأنه يقول : « إذا لم تحبونى فإننى سوف أحب نفسى » ..

واستطرادا يقول : لو أحببت شخصا آخر فإن ذلك سوف يعرضنى للإيذاء .. ولهذا فلن أحب أحدا إلا نفسى .

هذه النرجسية مع ما تحمله من حب لنفسه فقط فإنها تعنى أيضا أنه يحمل مشاعر العداء ضد المجتمع .. مشاعر العداء التى تولد رغبة التحطيم .. ولأنه لايستطيع ذلك فإنه يوجه هذا العداء إلى نفسه .. إيذاؤه لذاته هو رمز لرغبته الدفينة فى تحطيم الآخرين ..

●● يا أيها الآخرون كم عانيت منكم .. عانيت صدكم وإهمالكم .. عـانيت جحودكم وجمـود عواطفكم .. تركتمونى وحيدا عاريا تلسعنى برودة شتاء حياتى المستمر .. تجمدت خطواتى ولم استطع حتى أن أحبو نحوكم .. فجلست أرعاها وأغدق عليها حبا يواسيها .. حبا كنت أدخره لكم .. ولكن الويل لكم .. فبقدر حبى لنفسى بقدر كراهيتى لكم .. لكم العداء ولنفسى السلام .. وهذه نفسى أحطمها أمامكم لتعرفوا مدى فظاعة عدائى لكم ورغبتى فى تحطيمكم .. ذاتى أقسو عليها .. أؤذيها .. أشوهها رمزا ومعنى لرغبتى المكبوتة فى إيذائكم جميعا .. انظروا إلىَّ حتى تعرفوا ما أعانيه بسببكم وما اتمنى أن أفعله بكم .. انظروا إلى يدى وهى تنتزع شعرى فاشعر بالألم فأستمر حتى يتم التشويه فتهدأ نفسى لأننى حققت رغبتى فى الانتقام منكم ممثلين فى نفسى ..

●● إذا أرهفنا السمع سنجد أنها وهى تنزع شعرها توجه نداء .. تستصرخ من أجل الاهتمام .. من أجل التعاطف .. من أجل ان تبادلهم ويبادلوها

حبا .. والجسد هنا هو ضحية الوجدان المضطرب .. جسد المريض نفسه هو الهدف القريب الذى يصوب ناحيته نيران العداء بغية تحطيمه .. ولكن فى الواقع ليس الهدف الحقيقى .. بل هو بديل الهدف المقصود بهذا العدوان .

والمشكلة تبدأ حين لم تلب الاحتياجات النفسية للطفل .. فكبت مشاعره ولكن ظل هناك صراع يحوم حولها فى عقله الباطن .. حين كبر وتعرض لاحباطات مشابهة تململت جراحه القديمة وتضاعفت صراعاته واشتعلت أعصابه بقلق عصابى أحدث توتراً لا يهدأ إلا إذا انتزع شعره أو جرح وجهه أو أكل بشراهة أو امتنع تماما عن الطعام .

فكيف يكون العلاج ؟

العلاج يبدأ بأن نبحث عن الجذور العميقة لاحتياجات هذا الإنسان التى أحبطت .. نبحث عن أسباب الإحباط والصراعات التى عاشها وكبتها العلاج فى أن نكشف الغطاء وننظر إلى الداخل .. لو ساعدنا المريض على أن يرى أعماقه فهذه هى بداية الطريق .. البداية فى أن يتكون لديه وعى

بالأسباب التى تختفى وراء هذا العرض .. فى أن يعرف أنه يعتدى على ذاته لأنه إنسان محبط لعدم الاشباع لرغباته واحتياجاته الأسـ يـة فعاش وهو يغلى من الداخل بصراعات سببت له قلقا ..

والعلاج لايهدف إلى إزالة القلق ولكنه يهدف إلى تقوية دفاعات المريض ضد القلق .. أى أن يقوى على السيطرة .. العلاج يهدف إلى ترتيب مقابلات للإنسان مع ذاته فتحدث مواجهة واقعية تضمن للإنسان الرؤية الصحيحة لهذا الواقع ، وبالتالى يبدأ فى تكوين دفاعات صحيحة وصحية ، وبذلك يستطيع الإنسان أن يسيطر على قلقه ويصفى صراعاته ويحقق تكيفا مجزيا له يشبع احتياجاته الوجدانية .. وبذلك تتوقف هذا الدفعات الطائشة لنزع الشعر أو تشويه الوجه ، أى يتوقف هذا العدوان الموجه نحو الذات لايذائها وتشويهها .. وهيهات أن تتوقف هذا الدفعات إلا حين تهدأ النفس وتقر ويشملها السلام والشعور بالأمان ..

●● وننتقل إلى دفعة أخرى أو هوس من نوع آخر وهو هوس السرقة .. ولنتعرف على بعض ضحايا هذا الهوس :

● إستطاعت أسلاك التليفون أن تنقل بوضوح قدر الهم فى صوت الأم الحزينة وهى تقول بأسف وأسى : لا أصدق أن ابنتى لصة .. لاشك أنها مريضة .. جاءتنى أم صديقتها لتخبرنى أن إبنتى سرقت من بيتهم عشرة جنيهات .. وهذه هى المرة الثانية .. فى المرة الأولى شكوا فى أمرها .. فرتبوا لها طعما وراقبوها فى المرة الثانية واثبتوا عليها السرقة .. صرخت فى وجهها واتهمتها هى وابنتها بالكذب أو الجنون .. وباندفاع فتحت باب منزلى لتغادره مطرودة .. تماسكت السيدة وقالت بهدوء : لقد جئت لمساعدتك ومساعدة ابنتك .. أنا أعلم أن ابنتك فى حقيبة يدها أضعاف هذا المبلغ التافه ..

●● أحسست فى كلامها الصدق الذى جعلنى أتيقن أن ابنتى قد فعلتها .. ولكننى أصررت على خروجها لأثبت لها - بيأس - عدم تصديقى والذى يعنى أن ابنتى لم تسرق .. وبلا روية اندفعت بجنون ناحية ابنتى فوجدت دموعها أسبق من سؤالى ..

● كصاعقة هبطت فجأة من السماء بلا إنذار .. دقت أجراس الإنذار فى المتجر الكبير بإحدى

العواصم الأوروبية فاندفع رجل الشرطة نحو السيدة التى كانت فى طريقها الى خارج المتجر عبر الباب الذى دقت منْ عنده الأجراس ، وفى حجرة التفتيش أخرجوا من حقيبتها « بلوزة » لم تدفع ثمنها .. أراد زوجها أن يؤكد أن هناك خطأ ما .. ولكنه قرأ فى وجه زوجته الحقيقة ..

ولأن البلوزة كانت رخيصة الثمن متواضعة القيمة وأيضا لا تناسب مقاسها .. ولأنها كانت قد دفعت مئات الجنيهات لأشياء اشترتها فعلا من المتجر .. ولأنهم تحققوا من المكانة الاجتماعية المرموقة التى يشغلها زوجها فى بلده .. لذلك قرروا الافراج عنها .. ونصحوا زوجها بعلاجها عند عودتها للوطن ..

● جلست أمامى باعتدال شامخة الرأس باردة النظرات . توحى ملابسها والمجوهرات التى تدلت من أذنيها والتفت حول رقبتها وأحاطت بأصابعها بثراء وفير .. وأيضا أصيل عريق لحسن تناسق مظهرها .: الأمر الذى ساعد فى تضخيم هالة الكبرياء التى تشعْ منها .. ولكنها حين بدأت تتكلم بصوت

متداع بانت كجبل من طين هش أخذ فى الانهيار لعدم تماسك داخله .

قالت : أرجوك ارحمنى من نفسى .. لقد تعرضت اليوم لأقسى موقف فى حياتى .. أدركت معنى أن يتمنى الانسان فى موقف ما أن تنشق الأرض لتبتلعه حتى وإن كان فى ذلك هلاكه .. المعنى هنا أنه يريد أن يهرب من تلك العيون التى تدينه وتشعره بالخزى .

كنت فى زيارة أعز صديقاتى .. ذهبت لتعد لنا قهوة إعتدنا أن نشربها معا في لقاءات مودة .. عاودتنى حالة القلق التى أشعر بها عند كل زيارة لهذا المكان .. أخذ توترى الداخلى يتصاعد تدريجيا حتى وصل إلى حلقى فشعرت بجفافه وكأنه انشق فتعرض لشمس حارقة اهتز كل جسدى وانتفض قلبى بعنف .. فدارت عينى فى المكان فبصرت زجاجة عطرها على مقربة منى .. داهمتنى الرغبة فى أخذها .. حاولت أن أقاوم ولكننى فشلت مثل فشلى فى مرات سابقة .. تحركت قدماى بلهفة وخوف .. وقعت يدى المشتاقة عليها فتلذذت بملمسها

وأحسست بسعادة غامرة وزال عنى كل توترى .. فتحت حقيبة يدى بسرعة وإذا بصديقتى فوق رأسى .. رمقتنى بنظرة تجمع فيها خليط من الدهشة والعتاب والاحتقار .. فانهارت أصابعى ووقعت زجاجة العطر على الأرض وفاحت رائحة العار من العرق الذى بلل كل جسدى ..

قالت صديقتى بصوت فيه تهكم وحسرة : الآن زال عجبى وأدركت سر اختفاء أشياء منى كل مرة تشرفينى بزيارتك ..

لا أدرى إذا كنت قد غادرت منزلها بإرادتى أم بناء على رغبة منها ..

●● أما وقد اكتشف أمرى ، وهذا ما كنت أخشاه واتوقعه ، فلا مفر من أن تحاول أن تساعدنى .

●● تعرف الحالة فى الطب النفسى باسم « جنون السرقة » وهى ليست بجنون وأيضا ليست بسرقة .. ولكن لانها حالة غير سوية فقد أطلق عليها بتجاوز مخل جنونا .. ولأنها تمثل اعتداء على ممتلكات الآخرين فقد أطلق عليها بتجاوز مخل سرقة ..

فهى ليست جنونا لأن صاحبها لايعانى من أى إضطراب فى التفكير أى لاتسيطر عليه الهذاءات أو الضلالات كما لا يعانى من أى هلاوس .. بل أن شخصيته متماسكة وسلوكه الاجتماعى سوى .. ولا تبدو عليه أى أعراض مرضية ..

وهى ليست سرقة لأن السارق يخطط .. وينوى .. ويرغب فى الشىء المسروق .. ويستعمله ويستفيد به بعد اتمام السرقة .. الحالة هنا مختلفة .. فالمريض يعانى .. يعانى من فشله المتكرر فى مقاومة رغبة ملحة بالسرقة .. أى أن هناك رغبة ملحة تدفعه ليمد يده . ولكنه يقاوم ويقاوم .. ولكنه يفشل فى مقاومته .. أى أن هناك قوتين متعارضتين .. قوة تدفعه للسرقة .. وقوة أخرى تحاول منعه لأن السرقة حرام .. ولأنها مخلة بالشرف .. ولكن رغبة السرقة تنتصر .. ويفشل المريض فى مقاومتها فى كل مرة ..

اللص الحقيقى ليست لديه هذه القوة التى تقاوم رغبة السرقة ، ورغبة السرقة لا تأتى بشكل مفاجىء قهرى وملح . ولكنه يخطط لها .. وقد يشترك معه آخرون .. ومريضنا لايقصد الشىء المسروق لذاته ..

فهو لا يسرق بقصد اقتناء هذا الشىء أو استعماله والاستفادة منه .. أى لا يسرق للقيمة المادية للشىء المسروق .. فالأشياء المسروقة إما أن ترمى وإما ترد لأصحابها أو يقوم بإخفائها للأبد .. أما اللص الحقيقى فهو يبغى الشىء المسروق للاستفادة المادية من ورائه ..

ومريضنا يملك المال لشراء هذا الشىء .. أى أنه لايعانى حرمانا ماديا ويستطيع بسهولة أن يشترى هذا الشىء المسروق والذى قد لايتجاوز ثمنه قروشا أو جنيهات معدودة .. فهو لا يسرق مثلا مئات أو ألوف الجنيهات . وإنما قد يسرق عشرة جنيهات .. وهى لا تسرق فراء ثمينا بآلاف الجنيهات . ولكنها تسرق بلوزة لايتجاوز ثمنها عشرة جنيهات . وهذا يكشف لنا عن حقيقة هامة . وهى أن عملية السرقة هى الهدف وليس الشىء المسروق . لأنه فى كل الأحوال يكون شيئا تافها هو أو هى فى غنى عنه .. ويملك أو تملك أكثر منه ويستطيع اقتناءه بالشراء بسهولة .

● كيف تتم عملية السرقة . .

بلا أى تخطيط أو إعداد أو فكرة مسبقة .. فجأة تقع عيناها على الشىء .. فيتصاعد داخلها وبسرعة الإحساس بالتوتر .. قد يصاحب ذلك أعراض فسيولوچية كسرعة ضربات القلب والعرق وجفاف الحلق وتزوغ عيناها . مع عدم القدرة على التركيز .. ولكنها تظل محتفظة بوعيها الكامل وتسيطر عليها رغبة قهرية فى سرقة هذا الشىء .. ولكنها تقاوم وتقاوم .. وفى النهاية تفشل مقاومتها . فتتحرك بحذر نحو هذا الشىء .. وتنتهز الفرصة لتلتقطه بسرعة وتخفيه .. فى تلك اللحظة الحاسمة يزول عنها تماما التوتر بل وتشعر بالاسترضاء والتلذذ وإحساس بالإرضاء .. تماما كما يشعر العطشان بالارتواء .. هو نفس الاحساس بإطفاء العطش .. التخلص من التوتر هو الذى يحقق الشعور بالرضى واللذة .. بعدها قد لا تشعر بالذنب .. ولكن فى بعض الأحيان يكون هناك إحساس بالتعاسة والاكتئاب والشعور بالذنب .. وقد يكون هناك قلق وخوف من العواقب .. ثم تنسى تماما الشىء الذى سرقته .. ولهذا تتخلص

منه بسرعة .. قد تعيده إلى أصحابه .. وقد تقذف به في الطريق .. وأحيانا تخفيه في مكان مأمون دون أى رغبة في استعماله أو الاحتياج له في وقت لاحق ..

●● وتعاودها الحالة مرات ومرات .. ويصاحبها نفس الفشل ، وليس بالضرورة أن تسرق في كل مرة من نفس المكان أو من نفس الأشخاص أو نفس الأشياء .. فهى لاتعرف متى ومن أين وممن ستسرق في المرة القادمة ..

وتسأل نفسها بعد إتمام السرقة .. لماذا ؟ لماذا فعلت ذلك ؟ ولكنها لاتستطيع أن تجيب على نفسها .. ولا تستطيع أن تجيب على المحقق إذا اكتشف أمرها .. ولاتستطيع أن تجيب على الطبيب عن دوافعها الشعورية . فالدوافع الحقيقية موجودة في اللاشعور وهى لاتعرف عنها شيئا .. فهى حائرة من أمر نفسها .. إنها تعى وتدرك أن الإنسان قد يسرق حين يكون محتاجا لما يسرقه أو يسرق لطمعه وشراهته .. يسرق لاضطراب في أخلاقه وسلوكه .. ولكنها ليست كذلك .. هل هى رغبة الحصول على أى شيء يملكه إنسان آخر ؟ وهل ينطوى ذلك على رغبة في إيذاء الآخرين حين تأخذ ما يمتلكون . ؟

بلا شك ليست هناك رغبة فى شىء محدد .. ولكنها الرغبة فى الفعل .. واللحظات الحاسمة هى تلك التى تلتقط فيها هذا الشىء والضحية قد تكون أعز صديقة أو شقيقة أو الوالدين .. وقد تتم السرقة من مكان عام كالنادى أو مكان العمل أو متجر كبير .. هى أكثر فى النساء وأكثر بعد سن الثلاثين . غالبا ما تكون بين الأربعين والخمسين .. وتكثر أيضا فى مرحلة المراهقة وتحت سن العشرين .. والغريب انها تزداد قبل الدورة الشهرية أو اثنائها ..

●● هناك تفسيرات نفسية عديدة .. ولكن السمة الغالبة أنها إنسانة تعانى من الوحدة والشعور بأنها منبوذة .. والسمة الغالبة أيضا أنها تعانى من قلق مزمن مع مشاعر مسيطرة بالتعاسة تصل فى بعض الحالات إلى اكتئاب فعلى .. فكل الأبحاث اثبتت بشكل قاطع ان نسبة كبيرة من هذه الحالات تعانى من حالة اكتئاب . وذلك يفسر السرقات التى تحدث من مرض الاكتئاب والهوس الدورى .

ويفسر أيضا ارتفاع نسبة حدوثها قبل أو أثناء الدورة الشهرية .. ومن المعروف أن المرأة تعانى من اضطرابات انفعالية أهمها الاكتئاب بسبب الدورة ..

فرويد يرى أن أى سارق لديه إحساس بالذنب فى مستوى اللاشعور وإنه بحاجة لى العقاب . ولهذا فهو يسرق حتى يكتشف أمره ويتم عقابه وبذلك يتخلص من مشاعر الذنب .

ولكن هناك إجماع بين المطلعين النفسيين أن أصل المشكلة يرجع إلى مرحلة الطفولة حين يتعرض الطفل للإهمال وجرح المشاعر وافتقاد الحب .. الحب الذى يحقق الارضاء واللذة .. ولهذا يظل يعانى من الحرمان العاطفى .. الحرمان الذى تعرض له فى أهم مراحل نموه النفسى .. ولهذا فهو يسرق .. يسرق أى شىء لعل ذلك يحقق له حالة الارضاء إنه يأخذ من الآخرين أشياء كبديل لحبهم المفقود ..

إنها الرغبة فى امتلاك أشياء للحصول على قوة يحارب بها حالة فقد المعنويات .. هذا الإنسان يفقد معنوياته بسرعة .. لأقل مؤثر خارجى تهبط معنوياته .. والمؤثر يأتى من خلال اضطراب علاقته بالآخرين . خلاف أو صراع أو إهمال أو نبذ .. بسرعة يداهمه الاكتئاب يغوص قلبه إلى أسفل .. ينطبق صدره ، يشعر بالجوع العاطفى ، يشعر

بالاحتياج إلى نظرة حنان أو كلمة ود .. يشعر بالاحتياج الى الطمأنينة من خلال حب الآخرين واهتمامهم . بسرعة ترتفع معنوياته من ابتسامة على وجه أو كلمة طيبة وبسرعة أيضا تنخفض المعنويات حين يفتقد هذه الأشياء ..

والسرقة تتم تحقيقا لرغبة قهرية .. أى أن هناك احتياجا ملحا .. وبعد أن يأخذ هذا الشيء تطمئن نفسه وتهدأ .. يشعر بالارضاء .. إنه بديل الارضاء العاطفى .. وبما أن السرقة تمثل عدوانا على الآخرين ، فهذا يعنى أن رغبة الامتلاك ليست خالصة لوحدها ، وإنما يصاحبها رغبة عدوانية تجاه الآخرين .. فالآخرون هم الذين نبذوه وعزلوه وحرموه من الحب ..

إذن هى تعبير عن عدوان لا شعورى كامن .. عدوان سببه الألم والاحباط .. فمشكلة الإنسان هى انسان آخر أو مجموعة من الناس كان له أو لهم تأثير سلبى فى حياته . وخاصة فى طفولته .. تركوا آثاراً لجروح على جدار نفسه .. فأصبح حساسا لأى مشكلة إنسانية .. أصبح حساسا لموقف الآخرين

منه ومشاعرهم تجاهه .. لايستطيع أن يصمد لغدر الآخرين أو تنكرهم له أو اتحادهم ضده ، فصار الهواء السارى بينه وبينهم يخنق صدره بسهولة ويهدد حياته ..

●● اختفاء نبرات الود من أصواتهم تحرق أذنيه .. نظرات العداء أو السخرية فى أعينهم تفقأ عينيه .. حين يولونه ظهورهم يشعر بالغربة أو الضياع .. حين ترفض أيديهم مصافحته تنهزم نفسه ويشعر بالضآلة ..

●● إذن هى حالة من الحساسية ورثها فى طفولته نتيجة لاضطراب العلاقة مع الأب والأم .. وتعاود الحساسية الظهور حين يتعرض لمواقف انسانية مشابهة يشعر فيها بالوحدة والعزلة .. فيداهمه الاكتئاب .. ولاسبيل للتخلص من هذا الاكتئاب إلا أن يمد يده لشىء يمتلكه إنسان آخر .. إنها لحظة إثارة تخدر أحاسيسه القلقة .. لحظة إثارة يحتاج إليها ليوقظ أحاسيسه الراكدة بفعل الاكتئاب .. لحظة إثارة لرفع معنويات متداعية هبطت إلى القاع ..

● تقول فتاة الجامعة التى سرقت من بيت

صديقتها عشرة جنيهات.: هجرنا أبى منذ خمس عشرة سنة حين كان عمرى أربع سنوات لسوء معاملة أمى له .. عشت مع أمى وجدتى فى شبه قصر يزخر بحجراته الخاوية الباردة .. عالمى كان حجرتى التى تفصلها مئات الأميال عن حجرة أمى التى عاشت فى عزلة بعد أن هرب منها زوجها ..

انقطعنا عن العالم وانقطع عنا .. ولا أذكر يوما أن صديقا ودودا طرق بابنا .. وكل من يحاول أن يقترب منا هو من وجهة نظر أمى يطمع فينا ويريد استغلالنا .. فالعالم كله سيىء ملىء بالأشرار والانتهازيين ولا أعتقد أن معاملتها لى أختلفت عن معاملتها مع أبى الذى فر بجلده .. لاشىء يعجبها منى .. مظهرى .. ملابسى .. سلوكى .. طريقتى فى التفكير .. وكأن بيتنا كان مدرسة أنا الطالبة الوحيدة فيها وأمى كانت الناظرة التى تفرغت للطالبة اليتيمة ..

فى أوقات كثيرة كنت أشعر أنها تكرهنى لأنى أشبه أبى شكلا وعماتى سلوكا ، كانت دائما تنعى حظى وحظها لأنى أكتسب الصفات الوراثية لأسرة أبى .. ولم أرث منها ومن أسرتها بعض فضائلهم الشكلية والسلوكية ..

راودتنى كثيراً فكرة الهروب مثلما فعل أبى .. وحين كنت أنهار واعترض كانت تبكى بضعف مؤكدة حبها لى ، وإننى الأمل الوحيد الباقى فى حياتها وأنها تريدنى أن أكون أحسن الناس ..

تنفست الصعداء حين التحقت بالجامعة لأرى العالم وأعايشه وأتعامل معه بحريتى وإرادتى .. ولكننى صدمت بعجزى عن التعامل مع الناس .. التعامل الذى يقتضى أن تعطى مثلما تأخذ .. احسست بالغربة والاختلاف .. شعرت أنى منبوذة وحيدة ، كنت اعود إلى بيتى منهارة باكية وتصاعدت مشاعرى السلبية تجاه أمى وأيقنت أنها السبب فى عجزى .. كانت حجتها أنها أرادت أن تحمينى من خبث الناس .. تماما مثل الأم التى تحمل طفلها لأنها تخشى عليها الوقوع والإصابة إذا حاول أن يمشى حتى تضمر عضلاته ويعجز عن المشى حين يكبر ..

سيطر الاكتئاب على حياتى . ولم أكن أستطيع أن اتكلم أو أشكو .. حتى راودتنى الرغبة الملحة فى أن تمتد يدى إلى أشياء لاتخصنى .. وكانت البداية مع أشياء أمى ولم تتصور إطلاقا اننى السارقة .. وفى

كل مرة يختفى شىء كانت تتهم الخدم حتى فروا منها ، وتحملت كل الأعباء بمفردها ..

وفى العام الجامعى الثانى نجحت فى إقامة علاقة مع صديقتين فهدأت نفسى وزال عنى هذاالعرض السخيف ولكننى صدمت بعنف حينما ابتعدتا عنى وتركانى وحيدة معزولة .. فساءت حالتى أكثر . وأصابتنى مرارة دائمة وعاودتنى رغبة السرقة .. ولكنها فى هذه المرة خرجت من نطاق بيتى إلى أى مكان أتواجد فيه وخاصة فى أى بيت أزوره .. أقاربى أو زميلاتى ..

كنت أشعر بالهدوء النسبى بعد أن تتم السرقة وكأننى حققت انتصارا استحق عليه مكافأة .. وكانت سعادتى مضاعفة حين كنت أسرق من إحدى زميلاتى .. كنت أشعر بالنشوة وأنا أراها تبحث عن الشىء الذى فقدته حتى وإن كان قلما رخيصا ثمنه بضعة قروش ..

واقتربت من زميلة أخرى وتوطدت بيننا صداقة كانت تبشر بعلاقة ودودة مستقرة وتصورت أن مشاكلى انتهت .. ولكننى فوجئت برغبة السرقة تعاودنى وأنا فى منزلها رغم حبى لها وحبها لى ..

وكأننى كنت أتوقع منها الغدر وأنها ستنبذنى فى يوم من الأيام مثلما فعلت بقية الزميلات .. لا أفهم لماذا كنت أسرق رغم أننى احتقر كل سارق ..

● تقول السيدة التى ذهبت مع زوجها فى سياحة لإحدى الدول الأوروبية ثم ضبطوها بسرقة بلوزة رخيصة السعر من أحد المتاجر : ولدت لأب سكير وأم تلعنه فى كل وقت .. وفى المرات المعدودة التى يقبلنى فيها كنت أشعر بالاشمئزاز لرائحة لم تكن تفارق فمه ربما لأن معدته لاتخلو فى أى وقت من الخمر ..

ساءت حالته الصحية وتعطل عن العمل واضطرت أمى أن تعمل حتى تعولنا .. شقيقتى الوحيدة التى كانت تكبرنى سنا وتقل عنى جمالا لم تأبه بما يحدث فى بيتنا لأنها استطاعت أن تجد متنفسا فى لهوها وعبثها خارج البيت .. ولكننى لم استطع أن أمشى فى طريقها كما لم استطع أن انفصل بوجدانى عن أبى وأمى ولكننى استجبت لأول طارق طلبنى للزواج وأنا بعد لم انته من تعليمى الثانوى .. كان يكبرنى بعشرين عاما وأذعنت أمى نظراً لمكانته الاجتماعية المرموقة وموقفه المادى شديد التميز . لم أشعر بأى

عاطفة نحوه حتى هذه اللحظة . ورغم انبهاره بجمالى فى بداية زواجنا إلا أنه أهملنى بعد ان انجبت طفلى الأول وهجرنى تماما بعد طفلى الثانى .. وكان يظن أن ماله ورحلاتى معه لأوروبا تعوضنى عن افتقاده كرجل .. وأصابتنى كآبة عجزت معها عقاقير الأطباء النفسيين .. وكانت حالتى تسوء أكثر فى الأيام القليلة التى تسبق موعد الدورة الشهرية .. حيث يمتزج اكتئابى بقلق حاد يجعل حياتى عذابا ..

وبدون أن أفهم وجدتنى تحت تأثير رغبة قهرية تعاودنى من وقت لآخر لأسرق أى شىء من أى إنسان ومن أى مكان .. كانت تلك هى اللحظات الوحيدة التى يهدأ فيها قلقى وتخف حدة اكتئابى .. ولكنه كان تحسنا مؤقتا لساعات كتأثير الخمر الذى سرعان ما يختفى مفعولها المهدىء للقلق مع تطايرها من المخ .

لم أكن أشعر بأى تأنيب لضميرى بعد كل مرة .. كان وجدانى متبلدا .. سرقت حوالى عشرين أو ثلاثين مرة ولكننى لا أتذكر ماذا سرقت ولا أين تلك الأشياء التى سرقتها ..

● قالت السيدة التى حاولت أن تسرق زجاجة العطر من بيت صديقتها : قد لاتصدق اننى لم أعرف عن تفاصيل العلاقة الجنسية بين الزوجين إلا فى اليوم السابق على زفافى حين تطوعت إحدى خالاتى بتزويدى بهذه المعلومات . لأنه كان من المستحيل ان تقوم أمى بهذا الدور لأنها ظلت على مدى عشرين عاما لا تتناول موضوع الجنس معى إلا بعينيها اللتين كانتا تنقلان لى التحذير والترهيب من مجرد مناقشة هذا الموضوع فى ذهنى أو مجرد تصوره فى خيالى ..

إنه الإثم بعينه لو تجرأ عقلى وطرح الموضوع بالفكرة أو بالصورة فما بالك بالتمنى والرغبات .. ولذا ماتت كل أحاسيسى فى الليلة الأولى وعلى مدى عشر سنين حتى الآن ..

نشأت فى بيت أب من اغنياء جنوب مصر الذى سلمنى إلى ابن أخيه فلم أشعر أن حياتى تغيرت كثيرا بانتقالى من بيت الأب إلى بيت الزوج بالرغم من السنوات الى قضاها الزوج فى أوروبا للحصول على أعلى درجة جامعية .. اخذته منى كتبه ومراجعه واخذنى منه تبلد مشاعرى .. لم انعم منه

إلا باسمه اللامع .. كما لم انعم من والدى إلا بماله بعد وفاته .. وعشت فى فراغ لم يبدده قضاء معظم وقتى مع صديقاتى .. ورغم تفوقى عليهن مالا وجمالا ومكانة إلا إننى كنت اشعر اننى الأدنى فى أنوثتى التى وأدتها أمى وأهال زوجى فوقها التراب .. حتى زوجة البواب كنت أشعر بتفوقها على .. ولهذا كنت أبالغ فى مظهرى وأبالغ فى كبريائى الذى كان يفقدنى احيانا كثيراً من الناس ..

احسست أن حياتى خاوية من المعنى والهدف فلازمنى الاكتئاب الذى أدى إلى تكسير معنوياتى .. وبلا سبب مفهوم لى اصبحت تراودنى رغبة ملحة فى سرقة اى شىء من عند اى صديقة ازور بيتها .. تلك كانت اللحظات الوحيدة التى اشعر فيها بالإثارة .. إثارة تنتشر فى أجزاء جسدى فأشعر بنشوة لذيذة منعشة أعود بعدها إلى بيتى لأنام نوما هادئا عميقا .. ولم أفكر فى أن امتنع عن ذلك السلوك المهين حتى لا أحرم نفسى من تلك الأحاسيس .. ففجأة أشعر بالتوتر يهز كل خلية فى جسدى .. وحين تمتد يدى لتسرق اشعر بالنشوة تتدفق رويدا رويدا حتى يصاب برعشة شديدة مرتقبة تنتهى فى ثوان أهدأ بعدها ..

القاسم المشترك بين الحالات الثلاث هـو الحرمان .. الحرمان من التواصل الإنسانى بأى من اشكاله الفكرية أو الوجدانية أو الجسدية .. ولهذا عانين من الاكتئاب .. وتجىء السرقة لتهز النفس أو الجسد وتزحزح الاكتئاب الجاسم للحظات كشهاب من نار يبدد ظلام كونى لثوان .. ويحرق من يلامسه ثم يحرق نفسه .

●● معظم الدفعات السابق ذكرها تهب فجأة وبلاسبب مباشر كانفجار قنبلة غير موقوتة ولم يلمسها أحد ، أو كزلزلال فشلت الأجهزة فى التوقع للحظة حدوثه .. ولا أحد يستطيع أن يحتوى آثار إنفجار قنبلة ، ولايستطيع أحد ان يمنع وقوع زلزال .. فقدان كامل للسيطرة وللتحكم .. وكل الدفعات السابق ذكرها هى عدوان .. عدوان على الذات وعدوان على الآخرين .. مغامرة .. سرقة .. اشعال حريق .. نزع الشعر .. تشويه الوجه ..

وفى حالة أخرى يأخذ العدوان شكلا سافراً .. غاية فى الشعور .. فقدان كامل للسيطرة على الدفعات العدوانية فينفجر صاحبنا بلا سبب

وبلا مثير خارجى .. ينفجر صائحا يسب ويشتم ويضرب ويكسر ويحطم كوحش هائج مجنون لايدرى ماذا يفعل ولكنه يزأر بعنف ويغرز أسنانه وأنيابه في كل ما يصادفه .. جماد أو إنسان أو حيوان .. ويتسبب صاحبنا فى حالة من الرعب فيفر كل من أمامه ، وإذا صمد له أحد وتحداه تعالى عنفه وعدوانه واستمات حتى يقهره ويمحقه بلا وعى وبلا هدف وبلا سبب غير مقدر لعواقب وغير حاسب لنتائج وغير قادر على تحديد حجم واتجاه عنفه مما ينتج عنه أبشع النتائج والتى قد تصل إلى إصابة جسيمة له أو لغيره وفى أحوال غير قليلة قد تؤدى إلى موت ..

●● وحتى وإن كان هناك سبب خارجى أى مؤثر .. فإن حجم العنف والثورة لا يتناسبان إطلاقا مع حجم المؤثر التافه مثل إناء يغلى ويفور ما به من ماء فى لحظة تحت وهج عود ثقاب ..

●● إنه أمر لا يمكن تفسيره على الإطلاق ..

●● ومثلما ثار فجأة فإنه يخمد فجأة .. ينتهى كل شىء

فى لحظات .. ويعود إلى حالته الطبيعية هادئا

معقولا متوازناً متزنا . لا اندفاع ولا غليان ولا دفعات ولا عنف .. ويستمر أياماً أو أسابيع وربما شهوراً وهو فى حالة طبيعية للغاية لا يبدو عليه ما يشير إلا احتمال وقوع نوبات عنف ..

●● ويألم ويندم ويعتذر عما صدر عنه .. ويعجب من نفسه .. ويعد بأنه سيسيطر على نفسه حتى وأن تعرض لضغوط تدعو إلى الانفعال .. ولكن تعاوده الحالة ولا يستطيع أن يفى بوعده لأنه لا يستطيع حقا ان يوقف شلال العنف والعدوان والعداء الذى ينطلق من داخله محطماً كل سدود السيطرة والتحكم .. قبل النوبة المؤسفة بساعة أو أقل لايبدو عليه أى أمر غير طبيعى .. ثم يتعرض لموقف بسيط لايسبب أكثر من لحظة إثارة لأى أنسان عادى .. ولكن مع صاحبنا يصبح الأمر كمن ألقى عود ثقاب فى بئر بترول .. فيهدر داخله فى لحظات .. يتصاعد بسرعة الغضب إلى حنجرته ووجهه وينتفض كل جسده بالغيظ ويحدث الانفجار .

●● هل الأمر يحدث حقا فجأة !! أم أن هناك رصيدا تراكميا من الكراهية المختزنة والعداء

المكثف الذى بدأ يتجمع منذ طفولته تجاه الناس وتجاه كل العالم !!

●●وأى نشوة تتحقق له من خلال الإيذاء المادى والمعنوى للآخرين .. ؟؟

●● وبماذا نفسر توازنه النسبى فيما بين النوبات .. ؟

●● وإلى أى مدى يختلف عن الإنسان السادى والسيكوباتى .. ؟ إلى أى مدى يختلف عن الإنسان الذى يعانى من خلل عضوى فى المخ يؤدى إلى إندلاع إشارات كهربائية غير سوية من مركز معين فى المخ يؤدى إلى نوبات عدوان وهياج .. ؟

●● إن صاحبنا لايفقد وعيه أثناء النوبات ولكن لايستطيع ان يتحكم فى نفسه .. إنه يعى كل مايحدث وكل مايفعل ولكنه يبدو كمن فقد وعيه ، إذ يفقد أى قدرة على التحديد والتمييز والتقدير ..

●● هل هو الحرمان والنبذ والإهمال والانكار الذى عانى منه فكبت مشاعر الحقد والكراهية والعداء .. وتأتى لحظات يفشل الكبت فى حجز كل هذا الهول السام من المشاعر ، فتنطلق الحمم الحارقة للحظات ثم يعود جهاز الكبت إلى سيطرته

إلى حين !! أم أن هناك خللا فى المخ لانستطيع حتى الآن ان ندركه بوسائلنا الفاحصة .. ؟

●● إنهم جميعاً يشتركون فى أن حالة من التوتر تتصاعد بسرعة قبل الاتيان بالفعل الاندفاعى .. انهم جميعا يشتركون فى عدم قدرتهم على التحكم والسيطرة فى منع الفعل ومنع تماديه ..

●● انهم جميعا يشتركون فى الشعور بحالة من الارتياح بعد تحقيق الدفعة سواء إذا كانت مقامرة أو اشعال حريق أو سرقة أو نزع الشعر أو عدوان مباشر ..

●● إنهم جميعا يشتركون فى أنهم يبدون أسوياء فيما بين النوات .. أى أنهم جميعا يشتركون فى أنهم لاتبدو عليهم أثار أى مرض نفسى أو عقلى أو مخى ..

●● إنهم جميعا يشتركون فى حيرة العلم فى أمرهم حيث لاتوجد نظرية مؤكدة تفسر على هذه الدفعات العدوانية العدائية الموجهة للذات وللآخرين ..

●● أمر واحد مؤكد ويشتركون فيه أنهم عاشوا طفولة غير سوية .. فى حياة كل منهم قصة تحكى

معاناة طفل قاسى الشعور بعدم الآمان فزلزله الخوف ولازمه وحرمه من متعة الاسترخاء والسكينة ، فعاش وشب متوترا قلقاً متوجساً متوقعاً للسوء لايثق بنفسه ، لايثق بالآخرين وعاجز تماما عن التواصل الإنسانى الرفيع مع الآخرين لأنه لايثق فى صدق عواطفهم ولايثق فى حسن نوايهم .. ان جرحاً غائراً موجود داخل كل منهم يؤلمه ويوجعه من حين لحين ويحرك احتياجه للحب المفقود الذى لم يصادفه فى حياته ولا يتوقع أن يعثر عليه ..

●● إنها بؤرة متوارية فى الأعماق المجهولة تنشط من حين لحين فيتصاعد القلق ويتأجج الحزن فتنشأ دفعة من نوع غريب لأن يحرق أو يسرق أو يدمر ولا يهدأ الجرح ولا تهبط البؤرة إلا بخروج تلك الشحنات الغاضبة الدافعة الحارقة المدمرة .. فخرج العدوان هو إطفاء للألم .. وإطفاء الألم يصاحبه لذة .. ولكن الألم قد يكون مستمرا .. أو يعاوده من حين لحين .. أى لانهاية قاطعة شافية للآلام .. ولذا تستمر الدفعات متعاقبة أو متقطعة ليقامر أو يسرق أو يحرق أو يشد شعره أو يعتدى على الآخرين ..

.. والعلاج طويل وصعب إذ لاتوجد أقراص شافية .. فالعلم حتى هذه اللحظة لم يتوصل إلى التخليق الكميائى للحب لكى يقدمه على هيئة اقراص .

رقم الايداع ٧١٢٨/ ـ ١٩٩٠
الرقم الدولى IFBN 977 - 08 - 0041 - 4